كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات عامة.

العنوان:

أصول النحو عند عبد الرحمن الحاج صالح.

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبة:

بن عيسى آية.

إشراف الدكتور:

بن شماني محمد.

لجنة المناقشة:

1- أ/ د/ مهدي فاطمة .	جامعة غليزان	رئيسا
2- أ/ د/ بن شماني محمد.	جامعة غليزان	مشرفا ومقررا
3- أ/ د/ يعقوب خالد.	جامعة غليزان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1445/1444هـ

2024-2023م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثم الشكر الموصول للمشرف الأستاذ الدكتور **بن شماني محمد**

لتكرمه بالإشراف، والتوجيه، والنصح، والتسديد، فبارك الله فيه.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة.

إهداء

إلى أبي وأمي: حفظهما الله و أطال في عمرهما.

إلى أخواتي، وأخي ...

إلى كل محب لهذه اللغة الكريمة

أهدي هذا العمل.

مقدّمة.

مقدمة:

الحمد لله الّذي جعل الرَّحمة عنواناً يفتتح بها سَور كتابه رغم تعدّد أسمائه وصفاته والصّلاة والسلام على أفضل أنبيائه ورسله سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار.

يعتبر الدكتور **عبد الرحمن الحاج صالح** –رحمه الله–في نظر الكثير من الباحثين أحد أهم أعلام الدرس اللساني المعاصر، ومن أبرز المشتغلين على النحو العربي وضبط أصوله على منوال ما جاء به القدامى من أهل العربية. فاجتمع في فكره عبقُ الأصالة ممزوجاً بجديد الحداثة.

أدرك **الحاج صالح** بما أوتي من ملكة عقلية متذوقة أنّ مجرى تأصيل النحو العربي هو الرجوع إلى جهود وإبداعات فطاحل النحو العربي **كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)** وتلميذه **سيبويه (ت180هـ)** ومن ساير فكرهما اللغوي وربطه بما توصلت إليه النظريات اللسانية الحديثة ليخرج للعالم العربي بمشروع عربي أصيل، الذي تمثل في نظريته الخليلية الحديثة.

كما **للحاج صالح** أعمال أصولية أعاد ضبط مفاهيمها بدقة وإحكام كمنهج القدماء في جمع اللغة، والسماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة وغيرها من القضايا اللغوية التي عدها من أسرار الدرس العربي الأصيل. وعليه جاء موضوع بحثي دراسة في: **"أصول النحو عند عبد الرحمن الحاج صالح."**

ومن الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع أذكر:

- الرغبة في الاطلاع على شخصية جزائرية أصيلة، اجتهدت في تطوير البحث اللساني العربي تأصيلاً وتجديدًا.
- التعرف على المفاهيم النحوية التراثية التي تناولها عبد الرحمن الحاج صالح والتي تعتبر فهما جديدًا للنحو العربي.

وكان لابد لي أن أحدد معالم هذا البحث بمجموعة من الإشكالات، أهمها:

- كيف أسهم عبد الرحمن الحاج صالح في ضبط أصول النحو العربي؟، وإثبات حقائقه العلمية؟
- فيما تكمن أصول البحث العلمي في التراث اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح؟، وما مفهوم الأصالة عنده؟
- كيف تحققت صفة العلمية في السماع العربي القائم على مقياس الفصاحة؟
- كيف أصل للنظرية الخليلية الحديثة؟ وماهي مفاهيمها الأساسية؟

وللإجابة عن تلكم الإشكالات، سلكت خطة بحث تتألف من مقدمة ومدخل ثم فصلين، وختمت بخاتمة:

المدخل عنوانه "الأصالة عند عبد الرحمن الحاج صالح"، وفيه قدمت الأصول المنهجية التي اعتمدها الحاج صالح للبحث في التراث اللغوي العربي، ثم توضيح مفهوم الأصالة عنده،

وانتقلت بعد ذلك إلى تبيان بعض مظاهر التأصيل المتعلقة بمسائل أصول النحو العربي عند الحاج صالح.

وفي **الفصل الأول تحت عنوان** "الفصاحة والسماع اللغوي من منطلق عبد الرحمن الحاج صالح" ففي البداية تحدثت عن المجال المفهومي للفصاحة ومجالها الزماني والمكاني بالإضافة إلى المقاييس اللسانية للفصاحة. ثم تناولت مفهوم السماع وخصائصه، والمقاييس الضابطة لصحة المسموع، وأشرت إلى بعض النقود التي وجهها الحاج صالح للسانيين الوصفيين.

أما **الفصل الثاني بعنوان** "التأصيل العلمي للنظرية الخليلية الحديثة"، وقسمته إلى عنصرين، العنصر الأول تطرقت فيه إلى التعريف بالنظرية الخليلية الحديثة، أما العنصر الثاني عرضت فيه مفاهيمها الأساسية.

الخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث المتوصل إليها.

واقتضت طبيعة الموضوع الإعتماد على المنهج الوصفي في عرض الآراء النحوية لدى الحاج صالح، وكذلك في وصف نظريته الخليلية الحديثة.

وقد استعنت في إنجاز بحثي هذا بجملة من المصادر والمراجع أهمها: الكتاب لسيبويه (ت180هـ)، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، بحوث ودراسات في

اللسانيات العربية بجزأيه لعبد الرحمن الحاج صالح، وغيرها من الكتب المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

ولقد تلقيت صعوبة واحدة في بحثي هذا والمتمثلة في أن قراءة كتابات الحاج صالح تتطلب ثقافة فكرية ولسانية عربية وغربية على السواء لفهم المعنى الحقيقي الذي يريده في نصوصه، فأرجو أن أكون قد وفقت في استيعاب تصوراته الفكرية كما يجب.

وختاما أحمد الله عز وجل على رحمته بي وحسن توفيقه، ثم كامل الشكر لأستاذي ومشرفي **الدكتور بن شماني محمد** على ما قدمه لي من نصح وتوجيه ومتابعة لهذا البحث، فجزاه الله عني جزاء حسنًا وبارك فيه.

بن عيسى آية.

المطمر في 2024/05/25.

مدخل

الأصالة عند عبد الرحمن الحاج صالح.

عرف الدرس اللساني اهتماماً ورواجاً في أوساط الدارسين العرب منذ أن تعرفوا على الأعمال الغربية في هذا المجال، فأثر بذلك على توجهاتهم الفكرية في دراسة القضايا اللغوية، فمنهم من دعا إلى حداثية البحث اللغوي والانفتاح على المناهج الغربي وبالتالي قطع الصلة بالتراث، ومنهم من مجد التراث معاديا بذلك كل ما هو وافد من الغرب، لكن هناك من أرسى جسراً بين التراث العربي وبين الحديث ووقف وقفة اعتدال بإعادة قراءة التراث اللغوي العربي من خلال معطيات الحداثة والابداع[1].

وضمن هذا التوجه ظهر المجدد والمحافظ عبد الرحمن الحاج صالح الذي قرأ التراث العربي قراءة علمية وذلك بالخوض فيما توصل إليه العلماء العرب "ويرجع ذلك لأهمية الأعمال التي قام بها عباقرة من أمثال **الخليل بن احمد الفراهيدي** وتلميذه **سيبويه** وما تركوه من أفكار علمية ومنهجية تحليلية رياضية عجيبة سبقا بذلك زمانهما وهي جديرة بأن ينظر فيها من جديد وتستثمر بالفعل"[2] واعتمد في ذلك مبادئ علمية وأدوات منهجية كاشفاً بها عن جهود الأوائل وعن أصول البحث العلمي.

[1] ينظر: زمولي سعاد/ موشعال فاطيمة، مرجعية البحث اللساني عند عبد الرحمان الحاج صالح بين إشكالية التراث والإبداع، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، العدد 07، 2021، ص 830.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح، أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد02 ،2007، ص10.

1 الأصول الإبستمولوجية والمنهجية للبحث في التراث اللغوي العربي:[1]

تأسست أعمال الحاج صالح اللسانية على فعل قرائي، فتاريخيا كانت بداية خطابه **"قراءة"** في جهود اللغويين الأوائل **كالخليل وسيبويه** ومن عاصر وساير فكرهما، من خلال اطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه والتي صارت فيما بعد المصدر الذي استلهم منه جُل كتاباته اللسانية التي ظهرت على شكل مقالات علمية متمثلة في:[2]

قراءة في النظرية الخليلية ومفاهيمها وسيتم التفصيل فيها أكثر في الفصل الثاني من بحثنا هذا إن شاء الله.

قراءات تخص قضايا تراثية: كالنحو العربي والمنطق الأرسطي، منهج القدماء في جمع اللغة، والسماع اللغوي والفصاحة وغيرها من المسائل.

وطبيعة القراءة عند الحاج صالح تتصف بكونها **"قراءة جديدة"** فصفة الجديد تحيل على أن صاحبها يهدف إلى التجديد في فهم مقاصد اللغويين الأولين على غير الفهم المتوارث، فهو يقرأ مالم يقرأ، **(تراث الخليل وأتباعه)**، أو إعادة قراءة ما قرئ على غير وجهه **(فهم المتأخرين من النحاة لأقوال الخليل وأتباعه)**. وعلى هذا الأساس تكون الصورة النمطية **"للقراءة"** كما

[1] ينظر: يوسف منصر، قراءة التراث في الفكر اللغوي لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 01، 201، ص 295.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 295 و296.

مارسها الحاج صالح وفق ثنائية الموضوع والغاية، فمن حيث **الموضوع** مارس اختيارات مناسبة وواعية لموضوعات خطابه اللساني ويتوضح هذا الانتقاء في عدة مستويات أهمها:[1]

1) **المستوى الزماني**: إذ ينحصر على الفترة التي شهدت نضج الفكر اللغوي العربي أي ما قبل القرن الرابع الهجري.

2) **المستوى الإشكالي**: إذ يطرح مجموعة من الإشكالات اللغوية المرتبطة بنظام اللغة العربية ومختلف ظواهرها، التي لم يتفطن إليها اللغويون المتأخرون أو تعذر عليهم فهم كلام القدامى، ومعنى هذا أن الحاج صالح يثري البحث في التراث اللغوي العربي بإشكالات جديدة لتبيان أصالتها من ناحية. والقدرة في منافسة التصورات اللسانية الحديثة من ناحية أخرى.

3) **المستوى الشخصي**: والمقصود به أن صاحب الخطاب ارتبطت أفكاره ومفاهيمه بنخبة من العربية **كالخليل وسيبويه وابن جني والرضي الأستارابادي** وغيرهم.

ووصف نزعته في قراءة التراث على أنها: " امتداد منتقى للآراء والنظريات التي أثبتها النحاة العرب الاولون."[2] والمقصود **بالامتداد منتقى** أي أن موضوعات خطابه اللساني منتقاة بحيث تنتقي معطياتها واشكالاتها ونماذجها الإنسانية من التراث.

[1] ينظر: يوسف منصر، قراءة التراث في الفكر اللغوي لدى عبد الرحمان الحاج صالح، ص 310.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر،2012، ج1، ص 208.

أما من حيث **الغاية**، فهو من **ناحية** يدعو إلى تجديد الدرس اللغوي العربي القديم وفق متطلبات الدرس اللساني الحديث متسمة بالتجريد الذي يتبنى لغة صورية قائمة على رموز تفسر المعطيات اللغوية، إذ ساد الاعتقاد عند البعض "بأن التحليل اللغوي هو شيء راجع إلى دراسة اللغة/اللغات، ومن ثم إلى الأدبيات، ولا دخل للتكنولوجيا في ذلك"[1] وهذا برأيه اعتقاد فاسد، والصواب عنده أن أنجع النظريات اللغوية هي تلك التي تستجيب لشروط الصياغة الرياضية وتحترم في الوقت نفسه خصائص العربية، ومطلبه هاهنا إعادة قراءة التراث بلغة وأشكال صورية رياضية تقبل في مراحل لاحقة تطويعها في ميدان التكنولوجيا. ومن **ناحية أخرى** ليثبت كفايتها التفسيرية والأنطولوجية.[2]

2 الأصول البحثية الخاصة بضرورة تحري النصوص التراثية الأصيلة وضرورة فهم مقاصدها كما أراد أصحابها دون تشويه أو تحريف أو تعسف:

عرض الحاج صـــالح على الباحثين مجموعة من القواعد التي ينبغي الالتزام بها في قراءة ونقد أي نص تراثي، وهي:[3]

- ضرورة الرجوع الى أقوال القدامى في نصوصهم الأصيلة، وذلك من القرن الثاني الهجري إلى الرابع؛ كالرجوع إلى كتب **الخليل** أو **ســـيبويه** أو **الفراء** وغيرهم أو نقلها

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 86.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

[3] ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر،2012، ص: 9 و10 و11.

عمن يوثق بعلمهم **كمحمد بن سلام الجمحي**، والامتناع عن الاكتفاء بما روي عنهم في كتابات العلماء المتأخرين مع وجود النص الأصلي وألا يقتصر الباحث على تخمينات وشروحات المتأخرين من أخبار ولم يروه أحد قبلهم، كما جاء في بعض مؤلفات **أبي بركات الأنباري** خاصة في الأنصاف في المسائل

- ضرورة الاصطفاء للمصادر وتخير ما أجمع العلماء قديما وحديثا على صحته وعدم التخليط بين الكتب العلمية والكتب شبه العلمية التي لا تصلح أن تكون مضامينها مرجعا للبحث العلمي ففي الغالب أُلفت للتسلية كالحكايات والمسامرات التي اختلط فيها الصحيح والزائف في رواية الأحداث.
- الامتناع عن كل مصدر يتضح أن أكثره كذب وافتراء، وإن وجد فيه بعض ما روي عنه ولاسيما إذا كان صاحب الأقوال معروف بالكذب بإجماع أهل عصره.
- التمسك بمبدأ التصفح الكامل لنصوص المؤلف الواحد وقراءته ومحاولة فهمه، ليتمكن الباحث من الوصول إلى المقاصد الحقيقية لصاحب النص الأصل وعدم الاكتفاء بالاطلاع على بعض النصوص في الكتاب وترك بعض الآخر لأن أفكار المؤلف عبارة عن نسق من المفاهيم المترابطة والمنسجمة، وليس أفكارا مفصولة ومبعثرة عن بعضها بعض، ويبنى هذا الإجراء، أي التصفح الكامل للنص، على طريقة تحليلية استنباطية بحيث يسعى الباحث إلى استخراج لا المعاني بمفاهيمها الوضعية لألفاظ النص وإنما المعاني المقصودة لكل لفظة في كل سياق(نص) وردت فيه.

- لاعتداء الجدّي المستمر بفكرة تحول رؤية العلماء ومفاهيمهم وما يحصل لمصطلحاتهم من تحول في معانيهم، وضرورة التمحيص الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية الغربية الحديثة وتفادي إسقاطها كما هي على التراث العربي دون مراعاة خصائصه التي يتميز بها التراث عن اللغات والنظريات الغربية.

3 مظاهر التأصيل في دراسات الحاج الصالح، لاسيما المتعلقة منها بمسائل أصول النحو العربي:[1]

قبل التطرق إلى مظاهر التأصيل المتعلقة بمسائل أصول النحو عند عبد الرحمن الحاج صالح سنبين أولا مفهوم الأصالة عنده.

4 مفهوم الأصالة عند عبد الرحمن الحاج صالح:

جاء تحديده لمصطلح **الأصالة** نتيجة محاولته الإجابة عن مجموعة من الإشكالات ولعل أهم إشكال طرحه هو: هل **تَأَثُر المثقفون العرب بأفكار وتصورات الغرب يعد مسا بالأصالة؟**[2]

وفي تعريفه لمصطلح **الأصالة** يخالف عبد الرحمن الحاج الاعتقاد الشائع عند الكثير من المثقفين عندما يقابلون مصطلح **الأصالة** بالحداثة والمعاصرة، وإنما **الأصالة** _في رأيه_ يقابلها التقليد أيا كان المقَلَد سواء تعلق الأمر بالتراث العربي القديم (الاحتذاء بعلماء العرب القدامى)،

[1] هشام صويلح، التأصيل والتقويم في فكر عبد الرحمان الحاج صالح "دراسة مسائل في أصول النحو"، مجلة اللغة العربية، العدد 03، 2020، ص: 408.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، جامعة الجزائر، العدد 01، 1991، ص:33.

أو ما تعلق باللسانيات الغربية (الاحتذاء بعلماء الغرب) فالأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره، يقول: " فأما الاصالة فإننا لا نشاطر نظرة الكثير من المثقفين عندما يقابلون هذا المفهوم بالحداثة أو المعاصرة، فإن الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد، أيا كان المقَّلَد المحتذي به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره."[1] ثم يشير في موضع آخر أن مصطلح الأصالة يرتبط بمفهومي الابداع والابتكار أي: إن الباحث يبدع ويبتكر في أسلوبه ويحاول التجديد فيه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه ولا علاقة لهذا المصطلح بالقديم أو بما يقابل المعاصرة، والأصالة أيضا هي الامتناع عن التقليد الاعمى واتباع من غير إدراك او تأمل ونقد لكل ما هو غربي خاصة في عصرنا هذا، يقول: "فكأن هؤلاء المثقفون بجعلهم **الأصالة** في مقابل المعاصرة لا يتصورون هذه **الأصالة** إلا بالرجوع إلى القديم، فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه أحد مهما كان الزمان الذي يعيش فيه, و**الأصالة** في زماننا هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة. هذا ولا أقصد من لفظ التقليد أكثر مما قصده علماؤنا قديما، فهو إتباع الإنسان لغيره فيما يقول أو يفعل معتقدا الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل."[2] وبعد تبيان مفهوم **الأصالة** عند الحاج صالح نذكر الآن نماذج من مظاهر التأصيل المتعلقة بمسائل أصول النحو:

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، ص: 33.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 33 و34.

1. **تنبيهه على علاقة التبادل المعرفي في أصـــول النحو وأصـــول الفقه:**[1] يرى الحاج صـالح أن علاقة التأثير والتأثر بين العلوم الإسـلامية، وعلوم اللغة (أصـول النحو) علاقة تبادلية، والدليل على ذلك أن **الشـافعي (150هـ-204هـ)** يَتكأُ على رسـالته على عبارات كثيرة كان يستعملها **سيبويه** في النحو وتدل على معنى واحد، مع الفارق الذي يقتضـــيه اختلاف العلمين، ثم يبين أن نشـــأة النحو العربي كانت نشـــأة عربية خالصـة، ولم يظهر أثر علماء الفقه والكلام إلا بعد أن نضـج النحو واسـتوى في القرن الرابع الهجري وقد وقع على مسـتوى تغيير المفاهيم و المصـطلحات النحوية الأصـيلة بمفاهيم أخرى مستَقَاة من الفقه مع الحفاظ على المصطلحات نفسها، وأما فيما يتعلق بأصول النحو فهو يرى أن أول من أحدث خلطًا وتداخلاً بين مصطلحات علم أصول النحو مع مصطلحات علم أصول الفقه هو **أبو البركات بن الأنباري** في القرن السادس الهجري، الذي أَلَف أول كتاب صـريح في أصـول النحو **"كتاب لمع الأدلة في أصـول النحو"** -**في القرن السادس الهجري**- والذي تأثر كثيرا بمفاهيم وكتب أصول الفقه.

2. **نقده لكتاب "لمع الأدلة في أصـــول النحو" لابن الأنباري والتنبيه على ما جاء فيه من أخطاء:**[2] سـجل الحاج صـالح جملة من الملاحظات على كتاب **أبي بركات بن الأنباري** نذكر منها:

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2012، ص: 323 و324 و325.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 325 و326.

إذا كان **ابن الأنباري** هو أول من ألف كتاباً بعنوان أصول النحو فإنه ليس المنشيء الحقيقي لعلم أصـــول النحو، بل هو الواضـــع الأول في طريقة طرحه كمفاهيم أصـــول النحو وفق كتب أصول الفقه.

لم يكتف بإتباع نهج الفقهاء في أصـــولهم بل تعداه في أخذ كل مفاهيمهم وفق تصـــورهم الخاص حيث رتب أبواب كتابه كما رتبوا أبواب كتبهم، وحدد القياس كما يحدد الأصـــوليون القياس الفقهي دون مراعاة الخصـــائص والفوارق بينهما والاختلاف يكمن فقط في المادة اللغوية بدل المادة الفقهية فســـبب التخليط الحاصـــل بين المفاهيم الأصولية النحوية والفقهية راجع بالدرجة الأولى إلى الكتاب الذي أَلَفه.

3. تأكيده بالإحصاء الرياضي أن القرآن الكريم نزل بكل لغات العرب وليس بلهجة قريش فقط:[1]

ناقش الحاج صـالح مسـألة نزول القرآن بلغة قريش من زاوية مختلفة، وتوصـل إلى أن **98%** من مجموع مفردات القران الكريم حسـب ما تم احصـاؤه عند القدامى تشـترك فيها كل لغات العرب وبنســـبة أقل من **2** في المائة من المفردات اللهجية تنتمي إلى**35** قبيلة أو إقليم وأن قريش تحتل المرتبة الأولى بنســـبة **27,96%** من حيث نزول القرآن بمفرداتها اللهجية وبالتالي هي أكثر القبائل لهجات في القرآن، و تأتي بعدها قبيلة **هذيل** وتليها **كنانة** وهذه القبائل تابعة **لإقليم الحجاز** وبذلك تكون الغلبة للغة قريش أو أهل

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص: 204.

الحجاز من ناحية المفردات اللهجية فقط وليس من ناحية مجموع مفردات القرآن الكريم الذي يضم **سبعة ألاف وسبعين ألفًا وخمسمائة** مفردة تقريبا، حسب ما توصل إليه العلماء القدامى، والذي يشترك في استعماله كل العرب ولا يقتصر على قبيلة واحدة أو إقليم واحد بل بلغة مشتركة تحدث بها كل العرب وهو ما قصده سبحانه وتعالى: "**بلسان عربي مبين**" (الشعراء، الآية:195.)

4. رده على من أنكر على سيبويه استشهاده بالشعر المجهول القائل:

يقول الحاج صالح في قضية استشهاد **سيبويه** بالشعر المجهول القائل: "أن أصل الأصول هنا هو ثبوت فصاحة المنقول بثبوت فصاحة القائل المنقول منه أو الناقل من العرب الفصحاء ولم يحتج النحوي منهم في ذلك الزمان إلى اسناد لأنه هو أو شيخه المصدر الأول لما سمعه"[1] فزمن **سيبويه** هو زمن السليقة العفوية وعليه لم يحتج إلى إسناد إلى أكثر من ناقل، ومن ثم نستنتج أن "اسم الشاعر[...]غير مطالب بذكره العالم اللغوي ليثبت انتماء المسموع من الشعر إلى اللغة العربية الفصيحة، فحجيته حاصلة من جهة انتمائه إلى المسموع من فصحاء العرب[...] فهذا يفسر عدم العناية الشديدة بذكر اسم الشاعر لا عند **سيبويه** فقط؛ بل عند كل العلماء الموثقين".[2] وهكذا فإن

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص: 255.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 258.

الرأي القائل بأن النحاة يستشهدون على كلام العرب ببيت شعري قائله مجهول في اعتقاد الحاج صالح أمرٌ غير وارد أبداً.

الفصل الأول

الفصاحة والسماع اللغوي من منطلق عبد الرحمن الحاج صالح.

الفصاحة عند عبد الرحمن الحاج صالح.

1 المجال المفهومي للفصاحة

الفصاحة في اللغة

أولا في القرآن الكريم:

يشير الحاج صالح إلى أنّ مادة (ف.ص.ح) لم ترد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد على لسان موسى عليه السلام، في قوله تعالى:" وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون" (القصص 34.) ولتفسير هذه الآية أتى بنص آخر من القرآن يحمل السياق المرجعي نفسه للآية الأولى، وهو، في قوله تعالى:" ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون" (الشعراء 13.) فالسياق المرجعي العام، هو خوف **موسى عليه السلام** من تكذيب الكافرين له، أما السياق القريب فيحمل حالة خاصة للسان موسى وهي، "هو أفصح مني لسانا"، "ولا ينطلق لساني"، وضدها للسان أخيه هارون وهي، "هو أفصح لسانا"، "وأكثر طلاقة للسانه"، ومن هذا التحليل استنتج الحاج صالح أن مفهوم الفصاحة في القرآن هي طلاقة اللسان.[1]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص53.

ثانيا في معاجم اللغة:

ورد في أقدم معجم عربي وهو **العين** ما يلي: "ورجل فصيح، وفَصح فصاحة وأَفْصح الرجل القول. فلما كثر وعرف أضمر القول واكتفوا بالفعل[...] ويقال في وصف العجم: أفصح وإن كان بغير العربية".[1]

وفي **جمهرة ابن دريد**(ت321هـ): "وأفصح العربي إفصاحا وفصح الأعجمي فصاحة إذا تكلم بالعربية[...] وأفصح الصبح إذا بدا ضوؤه وكل شيء وضح لك فقد أفصح لك".[2]

وفي **مقاييس اللغة لابن فارس**(ت395هـ):" الفاء والصاد والحاء أَصل يدل على خلوص في شيء، ونقاء من الشوب. من ذلك: السان الفصيح: الطليق. والكلام الفصيح: العربي، والأصل: أَفْصَحَ اللَّبَنُ: سكنت رغوته. وأَفْصَحَ الرجل: تكلم بالعربية، وفَصَحَ، جادت لغته حتى لا يلحن".[3]

وقد جمع أهم ما قاله أصحاب المعاجم **ابن منظور في اللسان**. بحيث:" الفصاحة البيان[...] تقول: رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ ولسان فصيح أي طليق[...] قال: وقد

[1] الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد الهنراوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، مج3، ص323، 324.

[2] ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، د.ت، ج1، ص541،542.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب، بيروت، ط2، 2008م، مج2، ص506،507.

جيء في الشعر في وصف العجم أفصح يريد به بيان القول وإن كان بغير العربية [...] ولقد فَصح فصاحة وهو البين في اللسان والبلاغة (قال صاحب التهذيب) [...] والتصفح استعمال الفصاحة وقيل التشبه بالفصحاء[...] ويقال: أفصح ولا تُجمجم (مادة ف.ص.ح)".[1]

وبتتبع الحاج صالح لمادة ("ف.ص.ح) في معاجم اللغة توصل إلى الوحدات الدلالية الأولية لمفهوم الفصاحة في وضع اللغة لا المصطلح عليه عند النحاة الأولين، وهي:

_طلاقة اللسان، ويشترط فيها عدم وجود عقدة أو عيٍ ومن ثم سهولة التعبير.

_ومعنى البين في قولهم، هو وضوح الكلام وفهم السامع لما يعنيه بكل سهولة، وهذا ينطبق على لغتنا العربية وسائر اللغات.

_أما في قولهم حسن الكلام وبلاغته، أي إنّ كلمة الفصاحة مرادفة للبلاغة في اللغة العادية.[2]

وذكر الحاج صالح في حديثه عن العربية ومعيارها اللغوي، ومحاولة تحديده بمقاييس موضوعية، أنّ بظهور الإسلام في القرن الأول الهجري، واختلاط العرب بغيرهم من الاجناس البشرية وقع هناك تداخل بين لغات العرب ولغات الاعاجم، وأنّ هذا الاختلاط أثر أيما تأثير في العربية التي صارت في أفواه الأجيال الحضرية على غير ما كانت عليه. وبعد الفتوحات الإسلامية إلى زمن **سيبويه**، كان النحاة القدامى امام ثلاثة أنواع من اللغات بحسب **الجاحظ**: لغة عربية يتكلمها

[1] ابن منظور، لسان العرب، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط1، 2011م، مج15، ص319.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص57.

أكثر العرب، وهم فصحاء عند **سيبويه** يسكنون البداوي والحواضر، وعربية أخرى ظهرت عند بعض العرب والموالي ووصفت باللحن، ولغات عجمية وصفها باللغات العلجية.[1]

فالنحاة كانوا مدركين للفروق بين اللغات، وعليه فتحديدهم لأوصاف العربية كان مقصودا، وأطلقوا على هذه العربية اسم الفصيحة ثم الفصحى، وهي لغة المدونة التي قضوا السنين الطوال في جمعها.[2]

الفصاحة عند علماء النحو واللغة

وفي إطار تحديد الحاج صالح لمفهوم الفصاحة عند النحويين واللغويين بين القرنين الأول والثالث، توصل إلى أنّ الفصاحة في القرن الأول والثاني **–عند سيبويه وشيوخه** –كانت تعني صفة من ترتضى عربيته، أي كون الناطق العربي الفصيح "ترتضى عربيته"[3] و" يوثق بها"[4] ويتم ذلك باستيفاء ما يأتي:

- **السلامة اللغوية** أي كون هذا الناطق يتكلم بعربية سليمة في كل مستويات التعبير التي تمثلها لغة القرآن ولغة الشعر العربي، بعيدًا عن الخطأ اللغوي الذي لا يعرفه الفصحاء إطلاقاً.

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص25،26.
[2] ينظر: المرجع نفسه ص 28.
[3] سيبويه، الكتاب، تح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988، ج1، ص
[4] المصدر نفسه، ج1، ص320.

- **الاستعمال الكثير المعروف من كلام الفصحاء ومن ثم وضوح الكلام بالنسبة لهم**، أي كون هذا الناطق يتكلم بالواضح من الكلام الذي يجري عند عامة العرب أو أكثرهم وفي ذلك درجات: فالفصيح من العبارات هو قبل كل شيء ما ثبت في لغة هؤلاء الناطقين، والأفصح هو ما كان أكثر استعمالاً وبالتالي أعرف وأشهر عندهم، وقد يكون غريبا مثل الغريب الذي جاء في القرآن وهو فصيح عند أكثر العرب من أهل البادية، وهم الذين اعتد بفصاحتهم وقت نزول القرآن الكريم.
- **السليقة الخاصة بالفصيح**: كون الناطق الفصيح بدويا أو حضريا اكتسب العربية الفصيحة من بيئته الأولى التي لم تبتعد لغتها عن عربية القرآن وكل الذين أتقنوا اللغة عن فطرة، ثم بعد النصف الثاني من القرن الثاني أنّ لا يكون الفصيح قد أطال الإقامة في الأماكن التي كان يكثر فيها الكلام الملحون فيأخذ من هذه البيئة اللحن بالسليقة أيضا.[1]

أما في القرن الثالث فقد استنتج أنّ الفصاحة كان يقصد بها الدلالات التالية: كلام العرب وضروبه التي لا يتكلم الفصحاء بغيرها، ويقابله كل لسان أعجمي من

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص39،40.

جهة والكلام الملحون بالعربية من جهة أخرى ويطلق على أصـــحاب الكلام الملحون بالعامي الذي لا ينتمي إلى عربية القرآن.

- ضروب من كلام العرب يكثر استعمالها وقد يكون بعضها أكثر استعمالاً من بعض ويسمى بالفصيح، وقد يتعادلان وكلها تسمى **"لغات"** عند **سيبويه وشيوخه**، و"لغات فصيحة" وغيرها **"لغات"** فقط في زمن **ابن السكيت(ت244هـ)** وبعض من جاء بعده.
- وقد تكون الفصـــاحة صـــفة للغات قليلة الاســـتعمال، وبعض هذا القليل قد يوصف بأنه قبيح رديء واستقباحهم له هو استقباح أكثر العرب له، إلا أنه ليس بخطأ، لكونه مسموع من عدد قليل من فصحاء العرب.
- وتنســـب بعض هذه الضـــروب من الكلام إلى قبائل عربية معينة في إقليم معين مثل **بني تميم** أو **نجد** أو **أهل الحجاز**.[1]

الفصاحة عند علماء البلاغة

أما عند علماء البلاغة من غير النحويين، في القرن الأول والثاني، فقد كانت البلاغة مرادفة للفصـــاحة وشـــرطًا من شـــروط تحقق البيان في الكلام بألفاظه ومعانيه، وهذا ما جاء به **الجاحظ(ت255هـ)** في كتابه البيان والتبيين، وهو أقرب عالم عربي إلى النحاة واللغويين، معلقًا

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص45،46.

على كلام العتَّابيِّ(220هـ) عن البلاغة "[...] والعتابي حين زعم أنّ كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أنّ كل من أفهمنا من معاشـــر المولدين والبلديين قصـــده بالكلام الملحون والملحون والمعدول عن جهته والمصـروف عن حقه أنّه محكوم له بالبلاغة".[1] ثم يعلق على الذين يفهمون كلام الأعـاجم الملحون قـائلا: "فمن زعم أنَّ البلاغـة أن يكون الســـماع يفهم معنى القائل، جعل الفصـاحة واللكنة، والخطأ والصـواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كله سواء وكله بيانًا".[2] فالفصاحة عكسها اللكنة، واللكنة تفسد الفصاحة، والبلاغة ليست إفهاما فقط ولكنه إفهام لما هو فصـــيح من كلام العرب الفصـــحاء الذي يخلو من اللكنة والخطأ والإغلاق واللحن، إذن البلاغة تتحقق بما يحقق الفصـاحة، وتفسـد بما يفسـدها، وهنا يوضـح الحاج صالح أنّ الجاحظ كسائر العلماء في عصره يستعمل لفظة الفصاحة في كتاباته تارة بمعناها الـذي يرادف البلاغـة، وتارة أخرى بالمعنى الـذي يقصـــده النحويين الأولون إلا أنّ هؤلاء لا يزيدون على ذلك صفة البليغ في تصورهم للفصيح.[3]

لكن في القرنين الثالث والرابع حدث تطور لمفهوم الفصـاحة عند البلاغيين وكان هذا التطور مع **أبي الهلال العســكري(ت395هـ)** في كتابه الصـــناعتين إذ اعتمد في تعريفه للفصـــاحة والبلاغة على الجانب اللغوي، وهما يرجعان إلى معنى واحد وهو الإبانة والإظهار، يقول: "وإذا كان الأمر على هذا فالفصـــاحةُ والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصـــلاهما؛ لأنّ

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، 1954، ج1، ص161.

[2] المصدر نفسه، ص162.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص59،60.

كل واحد منهما إنما هو الإبانةَ عن المعنى والإظهار له".[1] غير أنّه يفاضل بينهما في ربط الفصاحة بالألفاظ وربط البلاغة بالمعاني، وذلك لكون الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأنّ الآلة تتعلق بالألفاظ لا المعاني، في حين أنّ البلاغة مقصورة على المعنى ففي هذه الحالة "تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين وذلك أنّ الفصاحة تمام آلة البيان، فهي تتعلق بالألفاظ دون المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى".[2]

وأخذ منه هذه الفكرة **ابن سنان الخفاجي(ت466هـ)** صاحب كتاب سر الفصاحة، الذي فرق بين مصطلحي الفصاحة والبلاغة، فالأولى مقصورة على وصف اللفظ، أما الثانية فهي وصف اللفظ مع المعنى، يقول –مفرقًا بين المصطلحين: "والفرق بين الفصاحة والبلاغة، أنّ الفصاحة مقصورة على الألفاظ، والبلاغة لا تكون وصفًا للألفاظ مع المعاني "[3]

ولكي تكون اللفظة الواحدة فصيحة ينبغي أن تتوفر فيها بعض الشروط. قال: " إنّ الفصاحة على ما قدمنا نعتَ للألفاظ إذا وجدت على شروط عدّة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ".[4]

[1] العسكري أبو هلال، الصناعتين، تح: علي محَّمد بجاوي ومحَّمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1952م، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] الخفاجي بن سنان، سر الفصاحة، تح: الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1952، ص49،50.

[4] المصدر نفسه، ص57.

أما **عبد القاهر الجرجاني(ت474هـ)** فقد استعمل لفظ الفصاحة بمعنى البلاغة والبيان، فهو يطلق صفة الفصيح لا على الناطق فقط بل على ما ينطق به أيضا.[1]

إلا أنّه نبه على أنّه لا يريد بهذا اللفظ –أي الفصاحة–عندما يبحث عن دلائل الإعجاز ما يريده منه علماء العربية، قال: "ولم يعلموا أن المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أنّها في اللغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر"[2]، وقال أيضا: "وأنّها أجرى على مقاييس والقوانين التي وضعوها".[3]

فللفصاحة هنا معنى لغوي محض إذ الفصيح من العبارات هو قبل كل شيء ما ثبت في لغة هؤلاء الفصحاء، ثم ما كان خاضعا للمعايير الخاصة بالعربية التي العرب. وتدل الفصاحة أيضا على الإبانة ومدلول الإبانة والوضوح مرتبط بمفهومي كثرة الاستعمال والشيوع وبالتالي بدرجات الفصاحة فالأفصح هو ما كان أوضح وأكثر استعمالاً عند الفصحاء العرب.[4]

2 المجال الزماني المكاني للفصاحة

في إطار تحديد المجال الزماني المكاني للفصاحة أشار عبد الرحمان الحاج صالح إلى أنّ بعض الباحثين المحدثين يقولون إنّ العربية أخذت من أهل البدو وكلها في زمان معين، ومن بعض

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص37،61.
[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م، ص458.
[3] المصدر نفسه، ص459.
[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص37.

القبائل دون بعض، ويعتقدون أنّ لغة تخاطبهم اليومي هي اللهجات، فالفصاحة في الأصل هي الملكة اللغوية الخاصة بالذين يفهمون وينطقون باللغة التي نزل بها القرآن وهم هنا كمرجع زماني مكاني[1].

ونجد أنّ عبد الرحمن الحاج صالح في رده على هؤلاء يركز على ثلاث حقائق هي:

لم تكن الفصاحة مقصورة في القرنين الأول والثاني على أهل البدو: باعتبار أنّ رقعة الفصاحة كانت في بداية القرن الثاني يعيش الكثير من أهلها في الحواضر، لأنّ المقياس الوحيد الذي أخذ به النحاة هو بقاء الملكة اللغوية وألا تتغير بالنسبة للغة القرآن، قال الأزهري: "وجعل الله عزوجل القرآن المنزل على النبي المرسل محمد صلى الله عليه وسلم عربيا لأنّه نسبه إلى العرب الذي أنزله بلسانهم وصفة كلامهم الذي نشأوا عليه، وجبلوا على النطق به، وهم النبي والمهاجرين والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب، في باديتها و قراها"[2].

لهذا وجد الحاج صالح أنّ النحاة قد استشهدوا بسكان الحواضر، كسكان البصرة والكوفة في زمن **أبي عمرو بن العلاء(ت154هـ)** وذكر أمثلة كثيرة تخص كل من نشأ في الحضر من العرب واستُشْهِدُ بكلامه وكلهم من القرنين الأول والثاني كالأخطل الذي ولد في الحيرة أو الرصافة وترعرع في ضواحي الحيرة، وأبو الطفيل الكناني الذي عاش بالكوفة.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص66.

[2] الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمح علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج2، ص361،362.

ومنهم من لم ير البادية قطّ، واستشهدوا بمن عاش في بلاد العجم كأبي الهندي الرياحي الذي عاش في خراسان.[1]

لم تكن الفصاحة مقصورة على القدامى من العرب: اعتمد النحاة في قبول كلام العربي، بغض النظر عن انتمائه القبلي ومنازل قبيلته، على مقباس واحد وهو السلامة اللغوية، ولم يكن المقياس التمسك بالقديم، فالعلماء الأولون كانوا يأخذون من معاصريهم ويمتنعون من ذلك بالنسبة إلى من هو أقدم ممن تغيرت لغتهم، لأنّ في القرن الأول كان أكثر سكان المدن العرب وممن نشأ في بيئة عربية باقين على فصاحتهم بدليل كثرة من استشهد بكلامهم من أهل الحضر حتى النصف الأول من القرن الثاني.[2]

لم تكن الفصاحة مقصورة على العرب الأقحاح: رد الحاج صالح على من ادعى أنّ مقياس الفصاحة كان له عند القدامى ارتباط وثيق بالعرق العربي، وأنّ غير العربي لا يمكنه أن يبلغ ما بلغه العربي من القدرة على التعبير الفصيح ولو ولد ونشأ في بيئة عربية، ولدفع هذا التوهم الخطير استحضر أسماء شعراء أعاجم أجادوا العربية كما أجادها العرب، واستَشهَدَ بشعرهم كل اللغويين، من بينهم: المنتجع بن نبهان وهو سندي سبي صغيرا وكَبر في وسط فصيح في بني

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص69.

[2] ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص70.

تميم، أي إنّه اكتسب العربية من ذلك المجتمع الفصيح، ولم تؤثر فيه لغته ولا نازعت عربيته، والشعراء الفصحاء من الموالي كثيرون.[1]

تحدد عصر الاحتجاج بالكلام العربي حسب الحاج صالح بمقاييس زمانية ومكانية إذ يبتدئ زمانيا من زمن المهلهل وينتهي في القرن الرابع الهجري، وينتشر جغرافيا على كل قبائل شبه الجزيرة العربية باستثناء القبائل المتاخمة للأعاجم، والذين يمثلون هذا الكلام، أولئك الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يفهمون وينطقون لغة القرآن الكريم، ومن سبقهم ومن جاء بعدهم.[2]

ويذكر عبد الله الخثران في السياق ذاته، "أنّه قُبِل الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري سواء أسكنوا البادية أم الحضر، أما الأخذ عن البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلائقَهم في القرن الرابع الهجري على السائد في التحديد الزماني للاحتجاج عند القدماء من النحاة واللغويين".[3]

وقد فصل الحاج صالح في تطور مكان وزمان الفصاحة وقسمها إلى أربع حقب:

[1] ينظر المرجع نفسه، ص71.

[2] ينظر: المرجع السابق نفسه، ص98.

[3] عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة بالإسكندرية، 1993م، ص164.

الحقبة الأولى:

من زمن المهلهل إلى نهاية النصف الأول من القرن قبل الهجرة، لاحظ أنّ الشعر الذي في هذه الفترة من الجاهلية غطى تقريبا شبه الجزيرة العربية، حفظه وتناقله رواة القبائل بالتواتر، إلى أن سجله اللغوين ابتداء من نهاية القرن الأول بعد الهجرة، فسجل كلٌّ منهم جزءا منه، ثم جاء علماء القرن الثاني وبداية القرن الثالث، فجمعوه في دواوين وحققوه، أمثال الأَصمعي(ت216هـ) وآخرهم أبو سعيد السكّري(ت275هـ).[1]

الحقبة الثانية:

تمتد هذه الحقبة من سنة 50 قبل الهجرة أو ما بعدها بقليل وتنتهي حوالي سنة 41هـ والذي يميز هذه الفترة هو حدث عظيم لا يتكرر في التاريخ وهو ظهور الإسلام، واختار الباري تعالى نزول القرآن بلغة العرب، وبظهور هذا الحدث عرفت شبه الجزيرة العربية تحولات جذرية في المجتمع العربي وفي من كان يجاوره من المجتمعات غير العربية وذلك بنزوح عدد كبير من القبائل إلى المدن الجديدة كالبصرة والكوفة، أو إقليم الشمال كدمشق وحمص وغيرهما، وظهر اللحن بعد مخالطتهم لغيرهم، ثم يضيف الحاج صالح أنّ في هذه المدة الزمنية لم يحصل أي تغيير في خارطة شبه الجزيرة.[2]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب، ص77.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص98،99،109.

الحقبة الثالثة:

من 41هـ إلى 183هـ في هذه المرحلة بقيت رقعة الفصـــاحة على ما كانت عليه من بداية العهد الأموي حتى نهايته في 131هـ، ومع انتشـار اللحن في الحضـر بدأ الوضـع اللغوي يتغير شـيئا فشـيئا في العهد الأموي لتأثر البيئة العربية بلغات أخرى، لأنّ التعايش الذي حصـل بين الشعوب غير العربية والشعوب العربية خلق نوع من الاحتكاكات اللغوية حيث تعرضت العربية على لسان الأجيال الجديدة إلى انحرافات عميقة واستعمالات لغوية جديدة امتد استعمالها إلى ألســـنة الأجيال اللاحقة، ولما أحس العرب بهذا الخطر الذي يهدد لغتهم وقرآنهم شـــرعوا في اسـتنباط قواعد اللغة العربية عن طريق جمع المادة اللغوية من الأشـعار و الوعظ و الأمثال و ما يجري مجراها، وبنهاية القرن الثاني من الهجرة عم اللحن كل المدن وختم بذلك عهد الاسـتشـهاد بأهل الحضر، إلا أنّ العلماء واصلوا تحرياتهم واكتفوا في هذه الفترة بأهل الوبر.[1]

الحقبة الرابعة:

حددها من عصـور السـماع من 183هـ، إلى 392هـ، كانت زمن وداع الفصـاحة السـليقة بالكامل، وخروجها من الحواضـــر في أواخر القرن الثاني وبقائها في البوادي حتى القرن الثالث، وعلى الرغم من انتشـــار اللحن في القرن الرابع إلا أنّ هذا لم يمنع من وجود أعراب بقوا على فصاحتهم وهذا لعزلتهم عن باقي القبائل.[2]

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 110،121،132.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص125.

فقد أثبتت التحريات الميدانية، التي كان يقوم بها بعض العلماء على أنّ هناك مناطق من شبه الجزيرة العربية بقي سكانها محافظين على الاستعمال اللغوي الفصيح في خطاباتهم اليومية، ويرى الحاج صالح أنّ أبرز من مثَل هذه التحريات في أواخر القرن الرابع الهجري اللغويان المشهوران: **أبو منصور الأزهري(ت370هـ)**، و**أبو الفتح ابن الجني(ت382هـ)** اللذان ذكرا بعض الأخبار عن مشافهتهما للأعراب.[1]

حيث استشهد **الأزهري(ت370هـ)** في كتابه "تهذيب اللغة" بأحاديث شتى للأعراب الذين التقى بهم وهو أسير فتنة "القرامطة"، يقول: "وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطةُ الحاج بالهبير–حدث ذلك سنة 312هـ–وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا عامتهم هوزان[...] ويتكلّمون بطبائعهم البدوية[...] ولا يكاد يقع في منطقهم لحن، فبقيت في إسارهم دهرا طويلاً [...] واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضًا ألفاظًا جمّة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب".[2]

وانتهى بذلك عهد البيئات الفصيحة في نهاية القرن الرابع بشهادة **ابن جني رحمه الله**، يقول: "لو شاع في أهل الوبر ما شاع في أهل الحضر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاص عادة

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص127،128.

[2] أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص7.

الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا".[1]

3 المقاييس اللسانية للفصاحة

كان نحاة العرب القدامى لا يحكمون على اللغة بالفصـــاحة إلا بعد أن يتحروا عن قائلها، وهو الذي ارتضيت عربيته لبقائها على سليقتها، وعدم اكتساب العربية كلغة ثانية بل حصوله عليها منذ نشـــأته من محيطه غير المتأثر بلغات أخرى، فالفصـــاحة اللغوية عند اللغويين العرب القدامى كانت تعني "الســـليقة، أي التكلم باللغة دون تعلم"[2]، وهي بذلك مقابلة للحن الذي فشـا على ألسـنة المولدين: "ولم تزل العرب على جاهليتها وصـدر من إسـلامها تبرع في نطقها بالســجية وتتكلم على الســليقة حتى فتحت المدن[...] فوقع الخلل في الكلام وبدأ اللحن في ألسنة العوام".[3]

ويرى الحاج صـــالح أنّ هذه الشـــروط على الرغم من أهميتها إلا أنّ المحققون لم يكتفوا بها في تمييزهم بين الفصـــيح وغير الفصـــيح من العرب، لعدم نجاعتها في كثير من الأحوال لذلك استعملوا مقياسا آخر غير هذا الذي يخص النشأة أو الحد الجغرافي، وإنما مقياس لغوي محض.[4]

[1] ابن جني، الخصائص، تح: محمد، علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، ج2، ص5.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص192.
[3] الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة دار المعرفة، القاهرة، 1964، ص4.
[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص39.

وقد اصطنع العلماء وسائل ذكية تتنوع بحسب المواقف والأحوال، والغرض منها الكشف عن صحة أو عدم صحة ما يسمع من فم الوارد من لغة العرب، وذلك بأن يقرأ على مسامعه عبارات فيها الخطأ، وفي هذا المقام يورد **الجاحظ(ت255هـ)** أمثلة يوضح فيها أنّ النحويين متى وجدوا أعرابيا يفهم الكلام الملحون الخارج على نظام اللغة العربية "بهرجوه ولم يسمعوا منه، لأنّ ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة، وتنقص البيان".[1] ومن العبارات الملحونة التي ذكرها الجاحظ: " مكَره أخاكَ لا بطل " و " إذا عزَّ أخاك فُهن "[2]

فإن فهم الأعرابي مثل هذه العبارات الخطيرة اللحن حكم على عربيته بالفساد ولا يأخذون عنه أبدًا.[3]

ومنذ شاع في البدو اضطراب الألسنة وخبالها أصبح العلماء يتوجسون خيفة من الذين يدعون الفصاحة فلا ينخدعون بالبدوي، وقد تطرق إلى هذا الموضوع عالم اللغة **أبو الفتح عثمان بن جني(ت392هـ)** في كتابه الخصائص، وحذر جمهور العلماء من الثقة بكل مسموع، يقول: " فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مورده، وكيف موقعه من الفصاحة فاحكم عليه وله".[4] ويضرب لذلك مثلا لأعرابي يدعي الفصاحة البدوية لأنّ الفصاحة الة في زمان ابن جني كانت موجودة في البادية فقط، فيقول: "وقد طرأ علينا أحدٌ ممن يدّعي الفصاحة

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص162،163.
[2] المصدر نفسه، ص162.
[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص137.
[4] ابن جني، الخصائص، ج2، ص10.

البدوية[...] فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له، وميزناه تمييزا حســـن في النفوس موقعه، إلى أن أنشدنا يوما شعرا لنفسه يقول في بعض قوافيه، أشأؤها وأدأؤها بوزن أشعها وأودعها، فجمع بين الهمزتين، كما ترى، واســتأنف من ذلك ما لا أصــل له، ولا قياس يســوغه، نعم أبدل إلى الهمز حرفًا لاحظ في الهمز له بضـد ما يجب لأنّه لو التقت همزتان عن وجوب صـنعة للزم تغيير إحداهما[...]".[1] فبعد ذكره لبعض الأمثلة الفصـيحة لالتقاء الهمزتين وبيان ما يبرر ذلك حكم على كلام المورد بالكلام الملحون.[2]

وكذلك من مظاهر حرصـهم الشـديد في أخذ رواية اللغة، التأكد من صـحة ما يسـمعونه، باستعمالهم ما يسمى بمنهج القياس الخاطئ، فقد كانوا يصنعون قياسا خاطئا، لاختبار سلامة لغة الراوية، فإن وقع فيه امتنعوا عن الأخذ عنه ومن ذلك ما جاء عن **ابن جني**، وقد تكررت لقاءاته مع أبي الله الشــجري أحد فصــحاء قبيلة عقيل نزيلة العراق، قال: "كيف تجمع دكانًا؟ فقال: دكاكين، قلت فَقَرطَانَا؟ قال: قَراطين، قلت: فعثمان؟ قال: عثمانون، فقلت له: هلا قلت أيضــا عثامين؟ قال: أيش عثامين؟ أ رأيت إنســانًا يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقولها أبدًا".[3]

[1] المصدر نفسه، ص5،6.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص143.

[3] ابن جني، الخصائص، ج1، ص251.

ومن خلال هذا الاختبار خلص **ابن جني** إلى أن أبو عبد الله الشـــجري ما زال محافظًا على ســلامة لغته، وبشــعوره اللغوي الحي فرق بين صــيغ الجموع، فكان جمع التكســير لغير العاقل والســـالم للعاقل، وهكذا كان حال علماء العرب يختبرون رواة اللغة، صـــحةً وغلطًا، صـــدقًا وكذبا.[1]

[1] ينظر: صادق عبد الله أبي السليمان، السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين، مجلة اللغة العربية، القاهرة، العدد97، 2003، ص46،47.

السماع عند عبد الرحمن الحاج صالح.

1 مفهوم السماع

السماع لغة: قال **ابن منظور** "السمعُ: حِسّ الأُذن. وفي التنزيل: (أَو أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ)[1]، وقال ثَعْلَبُ: معناه خَلا له فلم يشتغل بغيره، وقد سَمِعَه سَمْعاً وسَمْعاً وسَماعاً وسَماعَةً وسَماعِيَّةً. قال اللِّحْيانِيُّ: وقال بعضهم السَّمْعُ المصْدَرُ، والسَّمْعُ: الاسم والسَّمْعُ أيضاً الأُذُنُ، والجمع أَسْماعٌ. وابن السِّكيت: السَّمْعُ سَمْعُ الإِنسانِ وغيْرِه، ويكون واحداً وجَمْعاً".[2]

وورد في **تاج العروس** أنّ السماع: "ما سمعت به فشاع وتَكُلّم به[...] وقالوا: أخذت ذلك سَمْعا وسَماعا".[3]

السماع اصطلاحا: يعد السماع الأصل الأول المقدم على كل الأصول النحوية، **فابن الجني(ت392هـ)** يرى أنّ " أدلة النحو ثلاثة: السماع والإجماع والقياس"[4]، ويعرفه **السيوطي(ت911هـ)** بأنّه: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو

[1] سورة (ق): آية (37).

[2] ابن منظور، لسان العرب، مج10، ص 93.

[3] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة كويت، الكويت، ط1، 1984م، ص224.

[4] ابن جني، الخصائص، ج1، ص27.

القرآن الكريم، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة[...] فهذه ثلاثة أنواع، لابدَّ في كل منها من الثبوت".[1]

أهمية السماع:

برزت أهمية السماع عند العرب القدامى في ما ذكره **ابن خلدون(ت808هـ)**: "السماع أبو الملكات اللسانية"[2]. والمطلع على التراث اللغوي يرى رأي العين اهتمام أهل اللغة بالمسموع، وقد تبدي ذلك في الألفاظ التي كان **سيبويه** وغيره –من علماء اللغة والنحو – يستعملها في سياق الإحالة على المسموع من كلام العرب.[3] فيقول مثلاً: " حدثني من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابيا"[4]، "وسمعنا الثقة من العرب يقول".[5]

وقد نص **ابن فارس(ت377هـ)** في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" على أهمية السماع في تحصيل اللغة وإتقانها، وأن اللغة تؤخذ سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، يقول: "

[1] السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006م، ص39.

[2] ابن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، مصر، 546.

[3] ينظر: صادق عبد الله أبي سليمان، السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين، ص 40.

[4] سيبويه، الكتاب، ج1، ص279.

[5] المصدر نفسه، ج3، ص280.

تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنا من ملقن، وتؤخذ سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويتّقى المظنون".[1]

ولفت **الجاحظ(ت255هـ)** إلى أهمية السماع وأثره في التقويم فيقول: "وأنا أقول: إنّه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتقُ للّسان، ولا أجودُ تقويماً للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء".[2]

وانطلاقا من التراث العربي الأصيل أفرد عبد الرحمن الحاج صالح للمدونة العربية كتابا سماه "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، وهو في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه لا يفتأ يشيد بعمل النحاة ويصف سماعهم بالعلمية والموضوعية، من ذلك قوله: "والذي نقصده من التراث اللغوي العلمي هو ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جليلة[...] بطريقة علمية وهو الاستقراء[...] ولمواصلة ما أبدعوه من هذه الطريقة الموضوعية، شرعوا في السماع المباشر من أفواه العرب، وقد حصل هذا السماع بطريقة علمية".[3]

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية مسائلها وسنن العرب في كلامها، تق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، ط1، 1963م، ص62.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص144.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص7.

ويذكر أنّ العرب قبل شروعهم في عملية السماع قد توفر لهم شيء من ضوابط العربية العامة بعد استقرائهم للنص القرآني كلمة كلمة، فقد كانت ركيزة أساسية لأصحاب السماع ليميزوا المادة التي يستهدفونها بالتدوين وتعيين مصادرها ومواطنها.[1]

ويلخص نظرته للسلوك العلمي الذي سلكه النحاة القدامى من السماع إلى التحليل ثم التقعيد، فيقول: " ما التجأوا إليه من وسائل وما سلكوه من مناهج في تدوينهم للغة وتقنينهم لها كانت تخضع لمبادئ علمية محضة أهمها هي الموضوعية المطلقة: وهو الخضوع التام للسماع ومشاهدة الوقائع اللغوية، ثُم تطبيقهم لمبدأ الأكثرية في الباب أو الاستعمال وتطبيقهم لها في توثيق الرواية، ثم استنباط الأصول". [2]

وبعد هذا التصفح وصل إلى أنّ العرب اتبعوا مقاييس علمية وموضوعية من حيث دقة المناهج التي ساروا عليها في عملية السماع ولا يكتفي بإظهار هذه المقاييس لإثبات القيمة العلمية الكبيرة للسماع اللغوي العربي، بل يعرج على نقود الوصفيين التي يسميها أوهاما ودحضها، وانتهى به هذا إلى أن يصف المدونة العربية بأنها أعظم مدونة شَهِدَها تاريخُ البشرية.[3]

[1] ينظر المرجع نفسه، ص27.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016، ص:279.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص251.

2 محتوى المسموع وخصائصه:

بحث الرواة العرب وعلماء العربية في ربوع الجزيرة العربية قاطبة في صـــفات اللســـان العربي فأنشئوا مدونة ضخمة لكلام العرب، التي قسمها عبد الرحمن الحاج صالح إلى نصوص محفوظة، نصوص حرة عفوية والتي جمع فيها المحتوى والخصائص.[1]

أ) النصوص المحفوظة:

عرفها بأنها نصـــوص نقلت شـــفاهيا من قبل الناطقين باللغة العربية من جيل إلى جيل، ولم يأخذها العلماء مباشرة من مصدرها الأصلي، فهي نصوص نقلت على صورة واحدة، إلا أن تأدية الناقلين لها كانت مختلفة لاختلافها في الأصل، أو اختلاف المنشأ اللغوي للناقل[2]، ويدخل في هذا النوع من النصوص:

النص القرآني من خلال القراءات القرآنية المتوارثة من جيل إلى جيل، وشكله الأصلي هو مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، المحفوظ في صدور الصحابة والتابعين الأئمة المعترف بهم.[3]

لذا كان القرآن الكريم هو النص الأول الذي احتج به النحاة في إثبات قواعدهم، فكل ما ورد أنّه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية ســـواء كان متواترا، أم آحادا أم شـــاذًا، يقول

[1] ينظر المرجع نفسه، ص252.
[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص252،253.
[3] ينظر : المرجع نفسه، ص253.

السيوطي: "كل ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أو شاذًا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة إذا لم تخالف قياسا معروفًا بل ولو خالفته يحتج بها في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه نحو (استحوذ ويأبى)".[1] ويقول الفراء(ت207هـ): "والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر".[2]

الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين الذي توارثه العرب، وهي من النصوص التي كانت تلقى مشافهة ولم يعرف شكلها الأصلي، إذ حصل اختلاف في نقلها وروايتها ولكن لا تصل إلى حد التغيير الجذري في المعنى، ثم اتخذت مظهرا كتابيا زيادة على مظهرها الشفهي.[3]

وللشعر مكانة هامة عند العرب قبل الإسلام، إذ اعتبروه من أشرف الكلام وأصوبه، فيه شاهد حكمتهم وخزانة معارفهم، يقول ابن خلدون:" واعلم أنّ الشعر من بين الكلام كان شريفًا عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم، وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها".[4]

[1] السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص39.
[2] الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1903م، ج1، ص14.
[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص254.
[4] ابن خلدون، المقدمة، ص570.

وقال ابن فارس: "والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه، وغريب حديث رسول الله صلى عليه وسلم، وحديث صحابته والتابعين".[1]

إنّ الظاهرة الواضحة في كتب النحو العربي هي الاعتماد الأساسي على الشعر إذ يمثل المنزلة الأولى من حيث الكم والكثرة، عن باقي مصادر الاستشهاد في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين. وذلك باستثناء ابن مالك(ت672هـ) الذي اعتمد على الحديث النبوي الشريف وأبو حيان النحوي(ت745هـ) الذي اهتم بإيراد الكثير عن لغات القبائل في كتابه "ارتشاف الضرب من كلام العرب"، وابن هشام(ت761هـ) الذي وجه عناية خاصة لنصوص القرآن الكريم، والسيوطي وغيرهم.[2]

ب) النصوص الحرة العفوية:

عرفها عبد الرحمن الحاج صالح بأنّها: "النصوص التي سمعها اللغويون من أصحابها مباشرة فليست بكلام محفوظ ومنقول حفظه الناس من غيرهم وليس بتأدية لكلام سبق أن قيل، فأصحابهم هم الذين تكلموا بها عفويا ولم ينقلوها عن غيرهم، وأكثر هذه النصوص هي من الكلام المنثور[...] وفيها الكثير من الشعر"[3].

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص212.

[2] ينظر: محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، الناشر الاطلسي، الرباط، ط2، 1983م، ص36.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 262.

وقد اعتمد اللغويين والنحاة في الاستشهاد بالكلام المنثور، والدليل على ذلك أنّ سيبويه بنى كثيراً من قواعده على المسموع من اللغة النثرية[1]، من ذلك مثلاً: " سمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: " مررتَ برجلٍ هَدَّكَ من رجل، ومررتَ بامرأة هَدَّتْكَ من امرأة" فجعله مفتوحا كأنّه قال: (فَعلَّ وفَعلَتْ) بمنزلة (كَفاكَ وكَفّتْكَ). ومن النعت أيضا (مررتَ برجلٍ مثلكَ) فمثلُك نعت على أنّك قلت: "هو رجل" ويكون نعتا أيضا على أنّه لم يَزِدْ عليك ولم ينقُصْ عنك في شيء من الأمور[...] ويونس يقول: "هذا مثلُكَ مُقْبلاً، وهذا زيدٌ مثلُكَ" إذا قدَّمه جعله معرفةً وإذا أخرَّهُ جعله نكرةً، ومن العرب من يوافقه على ذلك".[2]

ومثال أيضا ما سمعه من العرب الفصحاء قوله: "وكذلك جنوب وشَمال وحرور وسَموم وقَبول ودبور، إذا سميت رجلا بشيء منها صرفته، لأنّها صفات في أكثر كلام العرب سمعناهم يقولون: (هذه ريح حرور) و (هذه ريح شَمالٌ) و (هذه الريح الجنوب) و (هذه ريح سَموم) و (هذه ريح جنوب) سمعنا ذلك من فصحاء العرب لا يعرفون غيره".[3]

كما أنّ النحاة العرب القدامى، كانوا على وعي بالحد الفاصل بين الشعر والنثر، فقد كان سيبويه يقارن دائما بين ما يسميه "الكلام" وهو الكلام المنثور وبين لغة الشعر[4]، والدليل على

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 325.
[2] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 423.
[3] المصدر نفسه، ج3، 238.
[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص263

ذلك قوله: " سمعناهم يتكلمون به في الكلام سمعناهم يقولون: قَدي في قَدْ، ويقولون، ألي في الألف واللام يتذكر الحارث ونحوه..."[1]، وقال: "وهذا قليل في الكلام كثير في الشعر، لأنّه ليس بفعل"[2].

والنثر من الكلام العربي أنواع كثيرة، أبرزها الأمثال وما يجري مجراها من الأساليب الجامدة التي تختص بها لغة معينة، وهي ما تسمى بال [3] **Idiotisms**.

3 المقاييس الضابطة لصحة المسموع:

قدّم الحاج صالح جملة من المقاييس العلمية التي يمكن بها اختيار المسموع العربي، وهي:

مقياس الفصاحة:

والمقصود به عند أصحاب السماع السلامة اللغوية لا البلاغة والبيان، وتحديد اللغويين والنحاة القدامى لمقياس الفصاحة كان في غاية الموضوعية في نظر الحاج صالح، والتي لخصها في الشروط الآتية:

أولها، السليقة فالفصاحة عند النحاة العرب القدامى كانت تعني السليقة، "وفلان يقرأ بالسليقة أي بطبيعته لا بتعلم".[4] والعربي الفصيح الذي يجوز عند العلماء الوثوق بفصاحته هو

[1] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 216.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص 277.
[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص263.
[4] ابن منظور، لسان العرب، مج10، ص60.

إذن، "الناطق الذي اكتسب العربية الفصيحة (لغة القرآن) بالسليقة بدون تلقين وفي بيئة من السليقيين الناطقين بتلك اللغة"[1]. وهؤلاء هم الذين قصدهم سيبويه ومن جاء قبله من العلماء، فهم العرب الذين اكتسبوا لغتهم من بيئتهم الأولى التي لم تبتعد لغتها عن عربية القرآن، فهم بذلك أصحاب السليقة الفصيحة.[2]

ثانيها، كَثْرة الاستعمال يقول السيوطي(ت911هـ): "فالمرادَ بالفصيح ما كَثَر استعمالُه في أَلْسنَة العرب"[3]. ومدار الفصاحة في الكلمة هو كثرة استعمال العرب الفصحاء لها، "قال الجاربَرْدِيّ(ت747هـ) في شرح الشَّافية: فإن قلتَ: ما يُقْصَدُ بالفصيح؟ وبأيِّ شيءٍ يُعلَم أنه غيرُ فصيح وغيره فصيح؟ قلت: أن يكونَ اللفظُ على أَلْسِنة الفصحاء الموثوقِ بعربيتهم أَدْور، واستعمالهم لها أكثر"[4]. وهذا في نظر الحاج صالح تحديد علمي دقيق، فاللفظ الفصيح هو كل ما ثبت وجوده وسمعه أكثر من باحث في كلام العرب الفصحاء.[5]

ثالثها، القياس على كلام العرب، يقول ابن جني: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنّما سمعت البعض

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص61.

[2] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص61.

[3] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وانواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيرت، 1986م، ج1، ص187.

[4] المصدر نفسه، ص187.

[5] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي، ص62.

فقست عليه غيره، فإذا سمعت (قام زيد) أجزت:(ظرف بشر) و(كرم زيد)"[1]. فهذه الأحكام التي أوردها ابن جني في نصه، سَمعت في استعمال الفصحاء في كل مكان وفي كل زمان عند الموثوق بعربيته.[2]

ولطالما كان سيبويه ينبه بوجوب متابعة العرب في كلامها فيما تستحسنه وتستقبحه وأنها صاحبة القول الفصل فيما يخص لغتها، يقول: "لو قالت العرب اضرب أي أفضل لقلته ولم يكن بد من متابعتهم"[3].

المقياس الجغرافي:

تأمل اللغويون العرب الجزيرة العربية، التي تعتبر مهد الفصاحة وموطنها، وفرقوا بين سكان البادية وسكان الحواضر والمدن، ثم فرقوا من سكان البادية بين قبائل الوسط وهم أشدهم توحشا وجفاء وانعزالاً، وأكثرهم تمثيلاً للفصاحة لبعدهم عن كل ما هو دخيل أو له تأثير خارجي على لغتهم، وبين قبائل الأطراف المتاخمة للأعاجم.[4]

[1] ابن جني الخصائص، ج1، ص357.

[2] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 104.

[3] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 397.

[4] ينظر: محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ص56.

ومن أشهر النصوص التي حددت أماكن السماع، ما أورده أبو نصر الفارابي(ت339هـ) في كتابه الحروف بأنّ النحاة العرب الأوائل قد أخذوا بلغات بعض القبائل العربية وأقصوا لغات القبائل الأخرى التي اعتقدوا أنّ ألسنتها قد فسدت فأخذوا عمن "كان في أواسط بلادهم، ومن أشدهم توحشاً وجفاء، وأبعدهم إذعاناً وانقياداً، وهم قيس، وتميم، وأسد، وطيء، ثم هذيل. فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب، وأما الباقون فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا بأطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم من الحبشة، والهند، والفرس، والسريانيين، وأهل الشام، وأهل مصر".[1]

يرى الحاج صالح أنّ العصر الذي وصف الفارابي السماع فيه هو العصر الذي تقلصت فيه رقعة الفصاحة الجغرافية، باعتبار أنّ الأماكن التي أقام فيها الفصحاء العرب في القرن الأول والثاني والثالث والرابع لم تبق على حالة واحدة، فكل من الفصاحة والتدوين للغة الفصيحة تغير لكن تدريجياً وفي مدة طويلة، وفي صدر الإسلام وفي عهد الفتوحات الإسلامية، اختلط العرب بغيرهم في شبه الجزيرة العربية، ففي الوقت الذي شرع النحاة بتدوين اللغة، بدأت رقعة الفصاحة تنحصر تدريجيا، فامتنع النحاة الأخذ بلغات القبائل التي جاورت العجم، أي ما بعد القرن الثاني الهجري، لكن هذا لا ينفي أن النحاة لم يأخذوا بكلام العرب قبل ذلك، باعتبار أن الفصاحة في العصر الجاهلي كانت تغطي جزيرة العرب تقريبا، والدليل على ذلك استشهاد

[1] أبو نصر الفارابي، الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1986م، ط2، ص147.

النحاة بأقدم الشعر كشعر المهلهل وامرئ القيس[1].

ثم يضيف الحاج صالح أن الفارابي لم يدرك بأن النحاة كانوا على وعي تام بتغير رقعة الفصاحة جغرافيا وزمانيا، لأنه فيلسوف لهذا كان من الغريب بالنسبة للحاج صالح أن يرجع السيوطي(ت911هـ)، وأكثر الباحثين اللسانيين العرب إلى رأي فيلسوف في عمل النحاة.[2]

مقياس معرفة النحوي للعربي الفصيح:

لم تؤخذ اللغة الفصـــيحة عند تدوينها من كل العرب، لأن النحاة القدامى اجمعوا على الاحتجاج "بقول من يوثق بفصـاحته وسـلامة عربيته"[3]، والعربي الفصـيح قد يكون بدويا وقد يكون حضـريا وفقًا للاعتبارات الزمنية التي وضـعها النحاة القدامى "فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أَم البادية"[4].

وزعم بعض المحدثين أن النحاة العرب كانوا يربطون الفصـــاحة بالبداوة، وأن المدونة العربية جمعت من سـكان البادية ولم تجمع من سـكان المدن والحواضـر، لكن عبد الرحمن الحاج صـالح يرى خلاف ذلك إذ يوجد في المدونة العدد الكبير من الأشعار التي ينتمي أصحابها إلى سكان الحواضر، وعليه فالفصاحة في القرنين الأول والثاني لم تكن مقصورة على أهل البدو فقط.[5]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص68.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص82.

[3] محمد سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1957م، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص17.

[5] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 38، 39.

ومع انتشار الإسلام واختلاط العرب بالأمم المجاورة، أصبح القيد الزمني الذي وضعه العلماء لا ينطبق بعد القرن الثاني إلا على سكان البدو، ويظهر هذا في كلام ابن جني(ت392هـ) الذي وضح علة امتناع الأخذ عن أهل الحضر، في قوله: " ولو عُلِمَ أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر"[1].

وهذا الامتناع في نظر الحاج صالح لم يكن تعسفا وإنما لغاية علمية وهي عدم أمن اللحن في كلامهم.[2]

مقياس أخذ اللغة سماعًا ومشافهة:

انطلق اللغويين في جمع وتدوين العربية من مصدرها الحي وهم العرب الخلّص، وكان السماع المباشر المبدأ الأساسي في جمع وتقعيد لغتهم، والمقصود بالسماع هنا المشافهة، "أي الأخذ المباشر من أصحاب اللغة بالاستماع إليهم وهم ينطقون كلامهم نطقًا فعليا واقعيا في مواقعهم الاجتماعية والبيئة المختلفة"[3].

ووجد الحاج صالح أن المشافهة جزء من السماع الذي اعتمده سيبويه(ت180هـ) في وضع قواعد النحو العربي، وقد انعكست هذه المشافهة في كتابه فوجده يقول: "سمعنا من العرب من

[1] ابن جني، الخصائص، ج2، ص 7.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند الحاج صالح ومفهوم الفصاحة، ص62.

[3] كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب، القاهرة، 1997م، ط3، ص 85، 86.

يقول ممن يوثق به" و "سمعنا ممن يوثق بعربيته" و "سمعنا بعض العرب الموثوق بهم"[1]. كما وجد في كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء(ت207هـ) مثل هذه العبارات: "سمعت العرب تقول" و "تقول العرب" و "بعض أهل العالية يقول" و "سمعت كثيرا من بني أسد" و "وتلك لغة قريش وتميم تقول"[2].

والسماع المباشر لم ينفرد به سيبويه فقط، بل وجده الحاج صالح عند أصحاب التحريات الميدانية كعلي بن حمزة كسائي(ت189هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنَّى(ت209هـ) وأبي زكريا الفراء(ت207هـ) وأبي زيد الأنصاري(ت215هـ)، يقول:" ثم إن سيبويه لم ينفرد بهذا السلوك العلمي السليم[...] وكذلك فعل من عاصره ومن جاء بعده من العلماء"[3].

والروايات في مجال اهتمام علماء العربية القدماء بالسماع من أفواه العرب، سواء في الذهاب إلى مصادر اللغة في قلب الجزيرة العربية، أو بوفود أهل الأعراب من البدو إليهم كالبصرة أو الكوفة أو بغداد، كثيرة وخاصة في العصور الأولى[4].

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 53، 155، 423.

[2] أبي زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ط3، ج1، ص 142، 42، 232، 41، 109.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 256.

[4] ينظر: السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين، ص 45.

فقد جاء عن أبي عمرو بن العلاء(ت154هـ) أنه لم يكن متأكدًا من حركة الفاء في كلمة "فرجة" أهي بالفتح أم بالضم، فقد ذُكر أن الحجاج بن يوسف قد توعده بالقتل فَفَرَّ منه إلى الصحراء، وبينما كان على هذا الحال سمع مُنْشِدًّا ينشدها بالفتح، وذلك في قوله:

ربما تَجْزَعُ النُفُوسُ مِن الأمْرِ لهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العقالِ

ثم أردف قائلاً: " إلا أنه قد مات الحجاج "، فقال أبو عمرو: "فما أدري بأيهما كنت أسرُّ أ بقول المنشد (فَرجةٌ)، أم بقول العجوز (مات الحجاج؟)، قال أبو العلي: الفَرجة في الأمر(بالفتح)، والفُرجة(بالضم) في الحائط وغيره"[1].

وذُكر أن الكسائي(ت189هـ) لما لقي الخليل(ت175هـ) في البصرة بهرته غزارة علمه، فسأله عن مصدره، فقال الخليل: "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي حتى أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه"[2].

وكذلك روي عن أبي زيد الأنصاري(ت215هـ) أنه قال: " طُفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة[...] أسأل صغيرهم وكبيرهم، لأعرف ما كان منه – يعني عن المضارع من الماضي الثلاثي -بالضم أولى، وما كان بالكسر أولى"[3].

[1] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1973م، ط2، ص 35.

[2] جمال الدين القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ط1، ج2، ص 258.

[3] السيوطي، المزهر، ج1، ص 207.

أما السماع بوسيط، فقد اصطلح علماء العربية القدماء على تسميته باسم "الرواية"، فهي الطريق الثاني لأخذ اللغة بعد طريق السماع الأول[1].

مقياس توثيق النصوص وتحقيقها:

أشار الحاج صالح إلى أن تحقيق النصوص ونقدها عند العرب ظهر مع ظهور علم العربية، أما ما يخص رواية الأشعار فقد تفطن العلماء القدماء إلى خطر الانتحال وكانوا على حذر منه، وعالجوه بمنهج علمي[2]، بينه محمد بن سلام الجمحي(ت231هـ) فقال: "وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه[...] وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي، وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر[...] فأما ما اتّفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه"[3].

وضح الحاج صالح أن ابن سلام الجمحي هو أول من بين في كتابه طبقات فحول الشعراء أن الجامعون للأشعار وتدوينها تدوينا علميا هم علماء العربية وحدهم[4]،

ثم يقسم الحاج صالح هؤلاء اللغويون الرواة إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمان، من نهاية القرن الأول إلى نهاية القرن الثاني، وهم:

---

[1] صادق عبد الله أبي سليمان، السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين، ص 44.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 310.

[3] محمد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط3، ص 5، 6.

[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صلح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 294.

1. الرواة الجامعون للشعر والمحققون له لأول مرة، ذكر منهم أبو عمرو بن العلاء(ت154هـ)، والمفضل الضبي(ت168هـ).

2. الرواة الجامعون أصحاب صنعة الديوان وهم، الأصمعي(ت216هـ) أبو عبيدة(ت209هـ) تلميذَا أبي عمرو بن العلاء، وأبو عمرو الشيباني(ت206هـ)، وأبو سعيد بن الأعرابي(ت231هـ) من أصحاب المفضل.

3. أصحاب الصنعة من عدة روايات وهم، ابن السكيت(ت244هـ)، وأبو سعيد السكري(ت275هـ).

وفيما يأتي عرض لأهم المقاييس التي ذكرها الحاج صالح في توثيق النصوص وتحقيقها عند النحاة العرب:

- لابد من التأكد من وجود النص عند الفصحاء العرب، والتأكد من معرفتهم أو عدم معرفتهم للبيت أو القصيدة المشكوك فيها.
- لابد أن يكون التحقيق والحكم الأخير من عمل العلماء من أهل الشعر، ومعظمهم كانوا من علماء العربية الذي توخوا الدقة العلمية في جمع وتدوين المادة.[1]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 311.

هذا عن مصدر الرواية، أما التأكد من صحة النسبة إلى قائل معين يقول الحاج صالح أنها لم ترد لا في كتاب سيبويه ولا في كتب النحويين ككتب الأخفش والفراء، وغيرهما، فهؤلاء العلماء م كان لهم أن يشككوا في نية عربي فصيح تأكدت عندهم سلامة لغته ووثقوا في عربيته.[1]

وهذا لا يمنع أن يكون العلماء قد اهتموا بالبحث والتأكد من القائل الحقيقي للشعر الذي سمعوه ودونوه كالأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة والأخفش. أما عند علماء القرن الثالث الهجري صارت الحاجة إلى ذكر القائل لكل شعر مسيسة جدًا، لأن الحقيقة التاريخية تفرض ذلك.[2]

وهذا الأمر لا ينطبق على زمان سيبويه لأنه عاش في أيام الفصاحة، وعليه فمصدر السماع عنده موثوق بعربيته، لذلك يكتفي بقول: "كذا سمعنا العرب تنشده"[3]، "وهذا مثل بيت سمعناه من العرب الموثوق به"[4].

وكذلك كان يفعل الفراء من نحاة الكوفة، كأن يقول: " أنشدني بعض بني عقَيل" أو " أنشدني بعض بني أسد"[5].

[1] ينظر المرجع نفسه، ص 312.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 314.

[3] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 432.

[4] المصدر نفسه، ص 201.

[5] أبي زكريا، الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 40، 68.

4 رده لنقود الوصفيين:

المدونة:

اعتمد اللسانيون الغربيون، في وصفهم الموضوعي للغة على مفهوم المدونة **Corpus**، وهي: "عبارة عن مسموع مسجل يتكون من كلام تكلم به بعض من يمثل حق التمثيل اللغة المراد وصفها"[1]. وهذه المجموعة لا يجوز أن تمس بتغيير أو بزيادة أو بحذف ويتوقف وصف اللغة بالاعتماد على ما يوجد فيها ليس إلا.[2]

وفي مقابل المدونة الغربية، يطرح الحاج صالح تصورا آخر للمدونة كما وردت لدى علماء العرب القدامى، إذ يرى إمكانية تصور سلوك آخر أعقل من التصور البنوي للمدونة، وهو ما انتهجه علماؤنا القدامى من توثيق من أهل الاختصاص لما يأتي به الباحث من المعطيات، وهذا أكثر موضوعية".[3]

ثم يعلق على منهج بناء المدونة المغلقة عند البنويين، ناعتا إياه بالسلوك العقيم غير المنطقي من الناحية العلمية، فالتصور البنوي يرى أن الوصف الموضوعي للغة لا يتم إلا بإغلاق المدونة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب مفهوم الفصاحة، ص 276.
[2] ينظر: هيام كريدية، الألسنية رواد وأعلام، بيروت، 2010، ط1، ص 196.
[3] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة، ص 275.

وجعلها المادة الوحيدة التي يرجع إليها الباحث في تحليله اللغوي، لأن الوصف لا يخص إلا تلك العينة، وهذا في نظر الحاج صالح موقف سلبي عقيم[1].

أما ما يخص غلق المدونة في الحالة العربية، لا يصح في نظر الحاج صالح، فهي مفتوحة زمانا ومكانا، ولم تغلق إلّا بنهاية القرن الثاني من الهجرة في الحضر، ونهاية القرن الرابع في البوادي.

المعيارية:

يرى الحاج صالح أن معيارية النحو العربي لم تكن معيارية تعسفية ذاتية، بل كانت معيارا موضوعيا ولابد منها في دراسة اللغة، وقد نبذها الوصفيون وعدوها من نواقض أية دراسة علمية للغة، وقد رد الحاج على هذه النظرة الخاطئة، ورأى أن الصواب غير هذا الذي يقولونه لأسباب منها:

- إن دليل الوصفيين من الغربيين ومن المحدثين العرب بأن النحو العربي معياري هو الاستناد إلى ما جاء في عبارات من كتاب سيبويه في مواضع كثيرة، منها: هذا جيد"، "وأجود"، "وأعرب"، "ورديء" وغيرها. إن حكمهم الخاطئ على هذه الكلمات، إنما هو راجع إلى التخليط بين الحكم الذاتي

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 275.

الذي يمكن أن يصدر من الباحث وبين الحكم الصادر من الناطقين باللغة أنفسهم، فالمعيار الذي شكل موضوع السماع ومادة المدونة هو معيار الجماعة اللغوية التي ظل النحاة يسلمون لها بكل شيء، ومنع النحاة لشيء لا يكون إلا بعد رجوعهم إلى واقع الاستعمال.

- إن معيار اللغة ظاهرة من الظواهر، وهي تخص سلوك الناطقين بها فلا يمكن أن تهدر في البحث، وأن كل أصحاب لغة معينة في الدنيا لا يستوي عندهم الخطأ والصواب في اللغة المتواضع عليها، من نظام نحوي وصرفي ومعجمي، ولا يسمحون لأي أن يتكلم بعبارة خارج ما تعارفوا عليه.
- إن تحديد النحاة لمعيار العربية كان بحدود موضوعية وهي لغة القرآن ولغة العرب الذين لم تتغير لغتهم.[1]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافها النظري والبنوي، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 85، 1999، ص 201، 202.

الفصل الثاني

التأصيل العلمي للنظرية الخليلية الحديثة

(تعريف النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية).

1 التعريف بالنظرية الخليلية الحديثة:

هي نظرية لسانية حديثة، تشكل امتدادا للنحو العربي الأصيل، المتمثل في المفاهيم التي توصل إليها أصحاب المدرسة الخليلية القديمة التي امتدت من القرن الثاني للهجرة إلى نهاية القرن الرابع للهجرة، وهي الفترة الخصبة في الفكر اللغوي العربي الأصيل[1].

ويرجع سبب تسميتها بالنظرية الخليلية نسبة إلى الخليل بن احمد الفراهيدي (ت170هـ) الذي يعتبره عبد الرحمن الحاج صالح المؤسس الحقيقي لهذه النظرية اللسانية لما له من السبق المعرفي في علوم كثيرة، وقد وصفه أبو الطيب اللغوي مادحا صنيعه اللغوي وإبداعاته قائلا: "وأبدع الخليل لم يسبق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى العين، واختراعه العروض، وأحدث أنواعا من الشعر ليست من أوزان العرب".[2]

كما له الفضل في استعمال المفاهيم الرياضية، كمفهوم العاملي وقسمة التركيب، ومفهوم الزمرة الدائرية، وفي علم الأصوات والنظام الصوتي العربي بوضعه ميزان صرفي يعرف به أصل الكلمة وجذرها وصيغتها.

ولم يقصر الحاج صالح الإبداع على الخليل فقط بل شملت عنده كل عالم اتصف بها، يقول: "لابد من ملاحظة هامة. فإن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء

[1] ينظر: بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح السانية، المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2021م، ص 199، 203.

[2] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص401.

الأولين، فهناك من عاصـــره وكان عبقريا مثله. وأذكر من هؤلاء الإمام الشـــافعي محمد بن ادريس(ت204هـ)، فهو في أصول الفقه بمنزلة الخليل في النحو وعلوم اللسان"[1].

ومن العلماء الأجلاء الذين استأنس الحاج صالح بآرائهم:

- **سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر(ت180هـ)**
- **الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة(ت215هـ).**
- **أبو القاسم الزجاجي(ت340هـ).**
- **أبو عثمان المازني(ت247هـ).**
- **أبو علي الفارسي(ت377هـ).**
- **علي بن عيسى الرماني(ت384هـ).**
- **أبو الفتح عثمان بن جني(ت392هـ).**

وبعدهم بكثير **الرضي الاستراباذي(ت687هـ).**[2]

ولعل ما انفرد به صاحب النظرية الخليلية الحديثة عن الكثير من اللسانيين العرب الذين قرأوا المتن النحوي العربي القديم، " أنه استطاع أن يستخلص المفاهيم المتناثرة في ثنايا خطابات أعلام التراث بصـفة عامة، وخطابي الخليل وسـيبويه بصـفة خاصـة، ويقوم بتجمعيها والتأليف بينها

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، 1996، ص 80.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، عدد4، 2007، ص 5.

وإعادة تنظيمها في بناء نظري متماسك يستجيب لما تقتضيه الدراسة اللسانية الحديثة مثل: القابلية للصورنة والتطويع الحاسوبي"[1].

وبناء على هذا، فإن النظرية الخليلية الحديثة، هي نظرية لسانية حديثة متماسكة، قديمة في أصولها، حديثة في منهجها وتوجهها العلمي التكنولوجي.

2 المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة:

اعتمد الحاج صالح في صياغة المفاهيم الأساسية لنظريته بناء على ما جاء في تراث الخليل وتلميذه سيبويه وغيرهم من علماء العربية المبدعين[2]، ومن أهم هذه المفاهيم نذكر:

1.2 مفهوم الاستقامة:

أول مفهوم حدده الحاج صالح لنظريته هو الاستقامة وما إليها وما يترتب على ذلك من التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وبين ما هو خاص بالمعنى.[3]

وقد استوحى هذا المفهوم من فكر سيبويه، إذ أورد في مقدمة كتابه –أي سيبويه –بابا أسماه "باب الاستقامة من الكلام والإحالة حيث يقول: " فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتَكَ أمس وسآتيك غدًا، وأما المحال فأن

[1] يوسف منصر، قراءة التراث في الفكر اللغوي لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 25، 2017، ص 306.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.

تنقض أول كلامك بآخره. فتقول: أتيتك غدًا سآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدًا رأيت وكي زيدًا يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب كأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس".[1]

يرى الحاج صالح أن سيبويه هو أول من ميز بين نوعين من السلامة في الكلام، سلامة خاصة باللفظ، وأخرى خاصة بالمعنى، يقول: "فسيبويه على إثر الخليل هو أول من ميز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ (المستقيم، الحسن، القبيح) والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم/ المحال، ثم ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم) مستقيم/ حسن"[2].

وانطلاقًا من قول سيبويه فرق الحاج صالح بين ثلاثة أضرب للكلام هي:

1. المستقيم الحسن= السليم في القياس والاستعمال معا.
2. المستقيم القبيح= السليم في القياس وغير السليم في الاستعمال.
3. المستقيم المحال= سليم في القياس والاستعمال، غير سليم من حيث المعنى[3].

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 25، 26.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 218.

ثم يعلق على تمثيل سـيبويه، مميزا بين نوعين من التحليل: تحليل لفظي نحوي وتحليل معنوي، "ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، وأعني بذلك أن اللفظ إذا حدد أو فسر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي Sémantique لا غير، أما إذا حصـل التحديد والتفسـير على اللفظ نفسـه دون أي اعتبارات للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي Sémiologico-grammatical"[1].

كما أن النحويين العرب لم يخلطوا بين هذين التحليلين، وانطلقوا في تحليلاتهم من اللفظ إلى المعنى، وهذا ما أكده الحاج صـالح في قوله: "وقد بنى على ذلك النحاة أن اللفظ هو الأول، لأن هو المتبادر إلى الذهن أولاً ثم يفهم منه المعنى، ويترتب على ذلك أن الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله وهو الأصل"[2]. إذاً الأصل في النظرية الخليلية هو ما يبنى عليه.

2.2 مفهوم الانفراد وحد اللفظة:

يعد مفهوم الانفراد من المفاهيم الجوهرية في النظرية الخليلية الحديثة، إذ يرى الحاج صـالح أن منطلق النحاة الأوائل في تحليل اللغة هو من الاسـم المنفرد، أو الاسـم المظهر كما وصـفه الخليل(ت175هـ)، يقول بلسان تلميذه سيبويه: "إنه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدًا لأنّ

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.
[2] المرجع نفسه، ص 219.

المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء".[1] فالذي "يسكت عنده وليس قبله شيء هو الاسم الذي ينفصل ويبتدأ"[2].

ويتضح من خلال ما سبق أنّ الانفراد هو الاسم الظاهر الذي ينفصل ويبتدأ "ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه، ولهذا فيجب أن ينطلق من أقل ما ينطق به مما ينفصل ويبتدأ (=ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية، وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته".[3]

لهذا أولى النحاة اهتماما بالاسم المفرد الذي لا يمكن أن يبنى على حرف واحد كما وصفه سيبويه، وهو الأصل الذي تتفرع عليه أشياء أخرى –أي الاسم المفرد –أو اللفظة كما هو وصفها ابن يعيش(ت643هـ) والرضي الاستراباذي(ت687هـ) فقد وصفا الاسم المفرد باللفظة، أما الحاج صالح ترجمها ب Lexie.[4]

[1] سيبويه، الكتاب، ج2، ص 304.
[2] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 96.
[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 219.
[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 219.

ولقد عبر سيبويه عن هذه الوحدة بعبارة الاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد، ومن ذلك قوله: "فقولك هذا الرجل منطلق فالرجل صفة لهذا وهما بمنزلة اسم واحد كأنك قلت هذا منطلق"[1]، وقال: "إنّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد منفرد"[2].

وعلى هذا الأساس فإن العبارات التالية: رجل، الرجل، مع الرجل، الرجل الذي قام أبوه أمس... تعد بمنزلة اسم واحد أي اللفظة.

ويتم التفريق بين هذه الوحدات وتحديدها بمقياسين هما:

الانفصال والابتداء:

يعنى " أنّ تكون القطعة اللغوية قابلة للانفصال عن غيرها وقابلة لأن يبتدأ بها".[3] ويمكن تحديد الوحدات اللغوية بالنظر إلى قابليتها للانفصال والابتداء إلى المراتب الآتية:

1) وحدات يبتدأ بها ولا يوقف عليها مثل: "إلى" في "إلى القسم".
2) وحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها مثل: الضمير المتصل بالفعل، نحو "ت" في "كتبت".

[1] سيبويه، الكتاب، ج2، ص 86.
[2] المصدر نفسه، ص 226.
[3] بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 223.

3) وحدات يبتدأ بها ويوقف عليها مثل: "رجل" جوابا على "من دخل؟".[1]

ثم يوضح الحاج صالح أهمية هذين المبدأين، وعلى الباحث إدراكهما لاستكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام، وذلك بأن "ينطلق من اللفظ أولاً، ولا يحتاج إلى أن يفترض كما يفعل التوليديون وغيرهم عندما ينطلقون من الجملة قبل تحديدها. كما أنّ الانفصال والابتداء مهمان جدًا في معرفة حدود الكلام، والتمييز بين الوحدات اللغوية المشكلة له، وتقسيمها وتصنيفها ومن ثم تفكيكها بعدما كان المتكلم قد نسجها وفق تسلسل وترتيب معين. ولابد من الملاحظة أن هذا المنطلق هو في نفس الوقت وحدة لفظية Unité Sémiologieلا يحددها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ، وهو الانفصال والابتداء ووحدة إفادية Unité Communicationnelle لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة[...] وعلى هذا فهي تحتل مكانًا يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة"[2]. فشرط الوحدة اللغوية المنفصلة والمبتدأ بها الإفادة دون أن تخضع للافتراضات كما هو الحال عند التوليديين.

التمكن:

ويتمثل في قابلية اللفظة على تحمل الزيادات يمينًا ويسارا، دون أن تفقد وحدتها أو دون أن تخرج عن كونها لفظة[3].

[1] ينظر: بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 224.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 219.
[3] ينظر: بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 226.

هذا وقد تبين للنحاة أن لهذا التمكن درجات تترتب كالآتي:

1) المتمكن الأمكن، يتمثل في اسم الجنس المتصرف.

2) المتمكن غير الأمكن، يتمثل في الممنوع من الصرف.

3) غير المتمكن ولا الأمكن، ويتمثل في الاسم المبني.[1]

3.2 الموضع والعلامة العدمية:

الموضع في النظرية الخليلية هو: "شيء ومحتواه أو ما يحل محله شيء آخر"[2]، فهو إذاً موقع اعتباري وتقديري، وهذه المواضع التي تحتلها الكلم هي في حقيقتها خانات يتم تحديدها بواسطة التحويلات التفريعية أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بانتظام وفق زيادة تدريجية[3].

ثم يبين الحاج صالح أهميته، في كونه معيار يعرف به جنس العنصر اللغوي وحكمه، لأن النحويين القدماء اعتمدوه في هذا المنحى[4]، وأما المواضع عندهم فهي أربعة:

الموضع في مستوى التركيب:

والموضع في هذا المستوى هو الذي يحدد جنس العنصر اللغوي (اسم، فعل، حرف معنى) ولكل منها حكم في بابه، ومعنى ذلك "أنّها تندرج تحت أحد هذه الأجناس ويكون مجراها أو

[1] ينظر: بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 222.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 11.
[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، ص 35.
[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 13.

حكمها (=مسلكها وأحوالها) مثل مجراها وحكمها هذا[...] وقد يكون للعنصر الواحد أكثر من موضع فيتحول حكمه ومجراه بحسب الموضع فيجري مجرى الباب الذي ينتمي إلى ذلك الموضع"[1]. ويتضح هذا في قول المبرد: "أما "من" فتكون فاعلة ومفعولة وغير ذلك[...] وموقعها في الكلام في ثلاثة مواضع: تكون خبرا معرفة إذا وصلت، ونكرة إذا أنكرت، وتكون استفهاما وجزاء"[2].

ثم يضيف الحاج صالح أن الموضع هو: "الحيز في البنية الذي يمكن أن يشغله عنصر معين، ويمكن أن ينعدم هذا العنصر، أي يكون خاليا فلا يظهر له أثر في اللفظ المسموع". فجملة "كتاب" في جواب السائل: "ما هذا؟" أو "ما بيدك؟"، فيها ثلاثة مواضع:

- الأول: موضع الابتداء ليس له أثر في اللفظ المسموع.
- الثاني: موضع المبتدأ تقديري لأن المبتدأ محذوف.
- الثالث: موضع الخبر ظهر فيه لفظ عنصر واحد الخبر، "كتاب"[3].

الموضع في مستوى اللفظ:

يرى الحاج صالح أنّ: " الاسم والفعل عند النحاة الأولين لا ينحصران في مثل كتاب ورجل وفرس وضرب وجلس وأمثلتها، أي لا يكون مثل كتاب هو الوضع الوحيد لما يسميه النحاة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 14.
[2] المبرد، المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1386هـ، ج3، ص 172.
[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص12، 13.

اسما، وكذلك ضرب أو ضربت أو ضربوا لا تكون أفعالاً هي وحدها"،[1] فالاسم قد تدخل عليه أشياء خاصة به هو وحده، إذا إنه كثيرا ما يشير سيبويه إلى مثل هذه المواضع أي الأشياء الداخلة على الاسم مثل: "هو من اسمه"[2]، وقد ينفي ذلك بالنسبة إلى أشياء لا تدخل عليه فيقول: "ليست من اسمه"[3].

وأما مواضع الاسم فمثل لها بالمخطط الآتي[4]:

حروف الجر	أداة التعريف	النواة الإسمية	علامة الإعراب	التنوين أو المضاف إليه	الصفة
←	←	↔	→	→	→
2	1		1	2	3

فكل من هذه المواضع الستة تَكَون مثال الاسم، والزوائد الداخلة عليه، إما تكون قبلية كحروف الجر وأداة التعريف. أو تكون بعدية كالتنوين أو المضاف إليه، أو الصفة[5].

الموضع في مستوى الكلم:

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 13.
[2] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 421.
[3] المصدر نفسه، ص 433.
[4] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 14.
[5] ينظر، المرجع نفسه، ص 14.

إنّ الموضـــع في مســـتوى الكلم يتحدد من خلال الكلمة، ومن المعروف "أن الكلمة المفردة المتصـرفة تنحل إلى مادة أصـلية ومثال ووزن، فلكل واحد من هذين المكونين مواضـع، فالأصـل التقديري يتكون من ثلاثة أو أربعة أحرف مرتبة ترتيبا معينًا مثل الكاف والتاء والباء في "كَتَب" و"كتاب" و "كـاتب" و "مكتب"، فلكل حرف موضـــع هو رتبته"[1]. وقد حدد الرضـــي الاســـتراباذي مثال الكلمة، فيقول: "عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وســـكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصـلية كل في موضـعه"[2]. فمواضـع الحروف الأصـول "ف ع ل" في الثلاثي هي مواضـع متغيرة ومواضـع الزوائد فهي ثابتة بالنسـبة للوزن ويمكن عدّ الموضـع في هذه الحالة "اعتباريا"، ذلك لأن موضـــع الفاء أو العين أو اللاّم مثلاً قد يكون خاليا، كما في اللفيف المفروق في حال الأمر، نحو: "وفى" الأمر فيه "ف" فموضع الفاء وموضع اللام خاليان[3].

ويرى الحاج صـالح أن، "خلو الموضـع من العنصـر له ما يشـبهه وهو الخلو من العلامة أو تركها، وهو ما نسميه نحن بالعلامة العدمية Expression zéro وهي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر"[4].

ويعبر عنها سيبويه ب "ترك العلامة"[5].

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 15.

[2] الرضي الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، دت، ج1، ص 08.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 15.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 36.

[5] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 07.

وهذه الحالات تحصـــل داخل اللفظة لا داخل الكلمة، ومن ذلك علامة التذكير العدمية تقابلها علامة ظاهرة في المؤنث، وعلامة المفرد العدمية تقابلها علامة ظاهرة في المثنى والجمع. وكذلك هو الأمر على مســـتوى التركيب مع العوامل اللفظية التي تَكُون ظاهرة بخلاف العامل المعنوي، الابتداء، لا لفظ ظاهر له[1].

الموضع في مستوى الخطاب:

يرتبط الموضــع في مســتوى الخطاب ارتباطًا مباشــرا بالمســتويات الســابقة الذكر: التركيب، اللفظة، الكلم، وإلى حكم الكلام ما إذا كان استفهاما أو خبرا أو نهيا أو أمرا أو غير ذلك، وما يرجع أيضا إلى إرادة المتكلم ومقتضى الحال[2].

4.2 العامل:

يعد العامل أو العمل النحوي الفكرة التي تأسس عليها النحو العربي، إذ ترجع الجذور الأولى للعامل إلى الخليل بن احمد الفراهيدي، ثم اتضـــحت معالمه فعليا على يد تلميذه ســـيبويه في الكتاب، ثم تبعه النحاة من بعده.

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: المفاهيم الأساسية، ص 36.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2، ص 16.

فقد صـرح سـيبويه: "أنّ وراء كل رفعٍ أو نصـبٍ أو خفضٍ أو جزم عاملاً يعمل في الأسماء والأفعال المعربة، ومثلها الأسماء المبنية، فلا بد من وجود أداة لفظية أو معنوية تفسـر الحركة التي يحملها الاسم أو الفعل المعرب، وهذه الأداة هي العامل"[1].

والعوامل عند النحاة القدامى نوعين عامل لفظي وعامل معنوي، يقول ابن جني: "وإنّما قال النحويون: عامل لفظي، وعامل معنوي، ليروك أن بعض العمل يأتي مسـببا عن لفظ يصـحبه، ك مررتُ بزيدٍ، وليتَ عمرا قائمٌ، وبعضـه يأتي عارياً من مصـاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء"[2].

ويرى الحاج صـالح أن مفهوم العامل هو: " من أروع ما أبدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي وأصحابه رحمهم الله، ومن أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية "[3].

ثم يعرف العامل بأنه، العنصـر الذي يتحكم في التركيب الكلامي ويؤثر فيه بغض النظر عن رتبته، فكل تركيب صـحيح في العربية عند الحاج صـالح قائم على علاقة عاملية بوجه من الوجوه[4].

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 280.

[2] ابن جني، الخصائص، ج1، ص 109.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 107.

[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 40، 41.

وقد وجد الحاج صالح أن النحاة ينطلقون في فكرة العامل من أقل ما يتركب وينفرد بنفسه في الكلام، وأصغر ما يبنى عليه الكلام يتكون دائماً من عامل ومعمول أول ثم معمول ثان، وتكون هذه العناصر النواة التركيبية ويضاف إليها عناصر مخصصة[1].

ويمكن صياغة هذا المفهوم بشكلٍ آخر، جسده الحاج صالح في المعادلة التالية:

[(ع ⟵م1) ± م2] ± خ[2].

بحيث:

ع: العامل.

م1: المعمول الأول.

⟵: يربط المعمول الأول بعامله ربط تبعية مشكلين بذلك زوجا مرتبا.

م2: المعمول الثاني.

±: إشارة إلى تواجد المعمول الثاني أو عدمه.

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 51.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 82.

خ: من كلمة مخصص، وهو عنصر "يدخل ويخرج" غير أساسي أو يكون للمخصصات التي قد ترد متصلة بالبناء فهي تربطها بالبناء علاقة وصل لا علاقة بناء وتشمل الحال والتمييز والمفاعيل باستثناء المفعول به.

( ): يجمعان الزوج المرتب.

[ ]: ما بين المعقوقتين فهي الوحدة التركيبية الصغرى[1].

إذاً، العناصر التي بين معقوقتين تشكل الجملة الأصل وهي التي تتكون من العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني، لكنه وضع قبل المعمول الثاني إشارة (–) لأن بعض الجمل يكتفى فيها بالعامل والمعمول الأول فقط. أما المخصصات فقد جعلها خارج المعقوقتين لأنها زيادة على الجملة الأصل، وبالتالي يمكن الاستغناء عنها دون أن تخل بالمعنى[2].

والجدول التالي يوضح ذلك[3]:

موضع العامل	موضع المعمول الاول	موضع المعمول الثاني	موضع المخصص
غادر	الرجل	أرض الوطن	رغبةَ في العمل

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 38، 82.

[2] ينظر: عائشة جمعي، الحذف النحوي في ضوء النظرية الخليلية الحديثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2016م، ص 10.

[3] المرجع نفسه، ص 10.

إنّ	الرجل	مسافر	غدًا

ثم بين الحاج صالح مواضع كل من العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني في الجدزل الآتي:

Ø	زيدٌ	قائم
إنّ	زيدًا	قائم
كان	زيدٌ	قائما
حسبت	زيدًا	قائما
أعلمت عمرا	زيدًا	قائما
1	**2**	**3**

الجملة النواة وما يدخل عليها على اليمين من العوامل[1].

اشتمل العمود الأول من الجدول على عنصر قد يكون كلمة مثل: (إنّ، كان) أو لفظة مثل: (حسبت) أو تركيبا مثل: (أعلمت عمرا)، يدخل على ما بعده وله تأثير واضح في الكلام وهو العامل، الذي يأخذ الأصل في هذا البناء (زيد منطلق) أما العمود الثاني فضم المعمولات الأولى التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتقدم على عواملها، أما العمود الثالث فقد ضـــم

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيما الأساسية، ص 37.

المعمولات الثانية والتي يمكن لها أن تتقدم على كل العناصر إلا في حالة جمود العامل، " إذا كان ظرفًا مثل: إنّ في الدّار زيدًا"[1].

وقد يخلو العامل من العنصـــر الملفوظ المشـــار إليه بالرمز Ø، أي "التجرد من العوامل اللفظية"[2]، وهو الذي يسمى عند النحاة بالابتداء، ففي (زيد قائم، الابتداء هو العلامة العدمية Ø)، وهنا يقصد به الحاج صالح عدم التّبعية التركيبية، وليس بداية الجملة[3].

أما ما يخص قانون امتناع تقديم المعمول الأول على عامله، فعِلّتُه هو تغير البنية التركيبية، مثل: "قام عبد الله" و "عبد الله قام". وقد انطلق الحاج صـالح من تحليل المبرد للبرهنة على هذه الحقيقة، يقول: "فإن زعم أنه إنما يرفع "عبد الله" بفعله فقد أحال من جهات منها أن "قام" فعل ولا يرفع فاعلين إلا على جهة الإشـراك (العطف) [...] فكيف يرفع عبد الله وضـميره؟ وأنت إذا أظهرت هذا الضـمير بأن تجعل في موضـعه غيره بان لك وذلك قولك: "عبد الله قام أخوه" فإنما ضـميره في موضـع أخيه ومن فسـاد قولهم إنّك تقول: "رأيت عبد الله قام" فيدخل على الابتداء ما يزيله ويبقى الضـــمير على حاله"[4]، ومن قول المبرد يتضـــح أن تقديم المعمول الأول على عامله يتغير معه بناء الجملة من فعلية إلى اسمية، ففي جملة قام عبد الله العامل فيه

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 223.

[2] ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد جعفر الكرباسي، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2003م، ص 158.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 223.

[4] المبرد أبو العباس، المقتضب، ج 4 ص 128.

الفعل(قام)، أما في جملة عبد الله قام فالعامل فيه الابتداء، لكن دلالتها لا تتغير لأن المعنى المستفاد من البنيتين واحد وهو قيام عبد الله[1].

وقد لاحظ النحاة أن بعض الوحدات اللغوية تختص بالتقديم دائما، سميت بحروف الابتداء وهي أدوات تسبق العوامل إذ لها الصدارة المطلقة في التركيب، وعلى هذا الأساس صنفت هذه الوحدات في أعلى مستوى من التركيب وهو مستوى الصدارة، الذي يضم كل أدوات الشرط والاستفهام وما هو بمنزلتها[2].

5.2 مفهوم الباب:

يعتبر الحاج صالح مفهوم الباب من المفاتيح التي تساعد الباحث في فهم المقاصد الحقيقية لنحاة العرب القدامى ممّا قالوه حول العربية.

وقد تتبع الحاج صالح استعمالاته في كتب النحاة (خاصة كتاب سيبويه) بغية حصر دلالته، فتوصل إلى أنّ الباب كاصطلاح نحوي يتعلق باللفظ والمعنى إفرادا وتركيبا، بحيث "لا يخص مستوى من مستويات اللغة ولا جانبًا واحدًا من جوانبها، بل ينطبق على اللفظ والمعنى إفرادا وتركيبا وما هو من هذه المراتب"[3].

[1] ينظر: فايزة سيدي موسى، مسالك الاستدلال على العامل في ضوء النظرية الخليلية الحديثة، جامعة البليدة 02، العدد 04، 2016، ص 176.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 332، 333.

[3] المرجع نفسه، ص 318.

فقد أطلق سيبويه هذا المفهوم على المجموعات المرتبطة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية، مثل: (ض ر ب) وغيرها.[1]

وكذلك على، "مستوى الكلمات، (أبنيتها وأوزانها) مثل: (باب فَعل) و (باب فَعل)"، وغيرهما[2].

والأمر نفسه بالنسبة للمستوى التركيبي، فيسمي التراكيب أبوابا، مثل: "باب ما الطيب إلا المسك" و "باب بعتَه رأسا برأس"[3].

والباب في النظرية الخليلية له مفهوم رياضي محض، يقابل مفهوم المجموعة في اصطلاح الرياضيات، وبالتالي يمكن أن تكون هذه المجموعة فارغة وهو المهمل عند الخليل وخلافه المستعمل، ومثاله: "باب فُعَل" لا يوجد أي عنصر على وزنه في الاستعمال. أو يمكن أن تحمل هذه المجموعة عنصرا واحدًا[4]، مثل: "باب فعِل" يساوي مجموعة وحيدة العنصر وهي كلمة "إبِلْ، قال سيبويه: "إنما هو بمنزلة عربي ليس له ثانٍ في كلام العرب نحو إبِل وكُدتَ/ تكاد"[5].

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 317.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 134.
[3] سيبويه، الكتاب، ص 36، 195.
[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 135.
[5] سيبويه، الكتاب، ج2، ص 19.

6.2 المثال:

يعد المثال في النظرية الخليلية بناء مجرد، يحصـــل بتركيب عمليتين: "عملية تجريدية تؤدي إلى فئة، تَسلّط عليها هي نفسها عمليةٌ أخرى ترتيبية فيحصل بناء معين مشترك يسمى مثالاً"[1].

فالغاية العلمية للمثال هي الكشـــف عن الصـــيغ المشـــتركة لمجموع الرموز المرتبة، والتي تمثل بدورها بنية الباب. ثم يواصـــل الحاج صـــالح في توضـــيح المثال على أنّه: "مجموعة من المواضـــع الاعتبارية مرتبةَ ترتيبا معينّا يدخل في بعضها، وقد تخلو منها العناصر الأصلية وفي بعضها الآخر العناصر الزائدة، ولا ينحصر المثال في مستوى الكلم (الأوزان) بل يوجد في كل مستويات اللغة بما فيها التراكيب وما فوقها "[2].

فللاســـم مثال واحد، وللفعل ثلاثة مثَل، وللكلم (الاســـم المفرد والفعل المفرد) مثَل كثيرة، أشهرها تلك التي أحصاها سيبويه في كتابه، وقد قاربت ثلاثمائة مثال[3].

ومثال التركيب لخصه في الصيغة الآتية: [(ع ← م1) ± م2] ± خ.

(ع): موضع العامل "يدخل فيه الابتداء والنواسخ والفعل غير الناسخ والناسخ".

(م1): موضع المعمول الأول "يدخل فيه المبتدأ والفاعل وما يقوم مقامهما".

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 246.
[2] المرجع نفسه، ص 251.
[3] ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 252.

(م2): موضع المعمول الثاني "يدخل فيه الخبر أو المفعول أو يقوم مقامهما ويمثل النواة".

(خ): مواضع العناصر المخصصة "تلحق بالنواة وهي الحال والتمييز والمفاعيل الأخرى"[1].

ثم يؤكد الحاج صالح أنّ مفهوم المثال على مستوى الكلمة، ومستوى اللفظة، وكذلك المثال على في مستوى التركيب الخاص ببنية الجملة من الناحية الصورية لا المعنوية، هو مفهوم عربي أصيل، وإن عرفه بعض اللسانيين الغربيين فمن خلال ما كتبه المستشرقون عن البنية العربية وقد أخذوا ذلك كله عن النحاة العرب الأولون[2].

وقد أشار الحاج صالح إلى مفاهيم عديد ذكرها النّحاة واللغويون في مؤلفاتهم واستخدموها في تحليلاتهم اللغوية كالحدّ والقياس والنظير وغيرها من المفاهيم.

3 مستويات التحليل في النظرية الخليلية الحديثة:

اعتمدت النظرية الخليلية الحديثة في تحليلها للنظام اللغوي العربي على مستويات مرتبة على النحو الآتي[3]:

المستوى (6)	↑	الحديث أو الخطاب.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 16.

[2] ينظر: المرجع السابق نفسه، ج1، ص 321.

[3] بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 219.

المستوى (5)	↑	أبنية الكلام، الجمل وتحليلها التجريدي لخصه الحاج صالح في الصيغة الرياضية الآتية: [(ع←م1) ±م2] ±خ.
المستوى (4)	↕	اللفظات (جمع لفظة).
المستوى (3)	↑	الكلم وتندرج فيه الحروف أو الأسماء أو الأفعال.
المستوى (2)	↑	الدوال: وهي أولاً المادة الأصلية، ثانيا الوزن أو الصيغة، ثالثا حروف المعاني، ورابعا العلامة العدمية أو ترك العلامة.
المستوى (1)	↑	الحروف اقتصرت العربية على تسعة وعشرين حرفاً وستة أصوات (حركات وحروف مد).

المستوى (0)	↑	الصفات المميزة.

وعليه اعتمد عبد الرحمن الحاج صالح في نظريته على المستويات الستة المرتبة من الأدنى إلى الأعلى كما يوضحه الجدول أعلاه، أي أنه يبدأ من: الصفات المميزة فالحروف فالدوال فالكلم أو الكلمات فاللفظات، حيث إنّ مستوى اللفظة هو المستوى المركزي الذي انطلق منه النحاة الأوائل في التحليل إلى مستويات أكثر أو أقل من اللفظة. ثم أبنية الكلام أو البنى التركيبية، فالحديث أو الخطاب[1].

وهكذا يشمل التحليل اللساني في النظرية الخليلية جانبين اثنين هما:

جانب البنية: أي "ما يتعلق باللفظ في حد ذاته وصيغته بقطع النظر عما يؤديه في الخطاب"[2].

جانب خطابي إعلامي: تقتضيه مقامات التخاطب المتنوعة في استعمالات الحياة الاجتماعية[3].

[1] ينظر: بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 220 .

[2] عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 102.

[3] ينظر: بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 237.

الخاتمة

من خلال هذه الرحلة البحثية عن **أصول النحو عند عبد الرحمن الحاج صالح** توصلت إلى النتائج الآتية:

- تأسست أعمال عبد الرحمن الحاج صالح على فعل قرائي، شكل تراث اللغويين الأوائل، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت174هـ) وسيبويه(ت180هـ) ومن ساير فكرهما اللغوي، متنه الأساسي، أما طبيعة القراءة عنده، فهي قراءة تجديدية-للتراث اللغوي العربي-تستجيب لمتطلبات الدراسة اللسانية الحديثة كالصورنة والتطويع الحاسوبي.
- مفهوم الأصالة عند الحاج صالح يختلف عن مفهوم الكثير من الباحثين عندما يقابلونه بالحداثة أو المعاصرة، لأنّ الأصالة بمفهومها الصحيح عنده هي الأصالة في مقابل التقليد لا في مقابل الحداثة، والأصيل الذي ليس نسخة لغيره، ثم يضيف أن أصل الأصول هو الاستقلال المطلق لأفكار الباحث وعدم خضوعه لنظرة الغير.
- قدم عبد الرحمن الحاج صالح مجموعة من الأصول العلمية والمنهجية، اعتمدها للبحث في التراث اللغوي العربي، داعيا الباحث العربي لانتهاجها في البحث العلمي، وذلك لما ينتج عنها من مصداقية ونجاعة في النتائج، كما صحح بها الكثير من المسائل الأصولية التي استغلق فهمها عند بعض الباحثين، فحاول تصحيحها وإبعاد الأوهام عنها من خلال الكشف عن دلالتها الأصلية في النصوص التراثية.

- خصص عبد الرحمن الحاج صالح كتابا لتحديد مفهوم السماع اللغوي العلمي عند العرب رابطًا إياه بمقياس موضوعي هو الفصاحة.
- فحدد المجال المفهومي للفصاحة كمصطلح نحوي لغوي، متتبعا تطور مدلوله عند النحاة واللغويين الأوائل، ثم تطرق إلى ما يدل عليه هذا اللفظ في اللغة من جهة وتطوره عند علماء البلاغة القدامى من جهة أخرى. ثم انتقل إلى تحديد المجال الزماني والمكاني للفصاحة، وقسمها إلى أربع حقب وذلك من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الرابع من الهجرة، كما توصل إلى أنَّ الفصاحة لم تكن مقصورة في القرنين الأول والثاني على البدو بل أكثرهم في الحواضر، ولم تكن مقصورة أيضا على العرب القدامى ولا على العرب الأقحاح، لأنّ المقياس الوحيد الذي أخذ به النحاة هو بقاء اللغة الفصيحة عند بعض العرب وتغير هذه اللغة عند غيرهم على مر العصور لا في عصر واحد،
- أما ما يخص عملية السماع عند العرب فقد ميزها الحاج صالح بإضافة صفة العلمية والموضوعية لها، وربطها بما يعرف في اللسانيات الحديثة بالمدونة اللسانية، مع الإبانة عن خصائص المسموع والمقاييس الضابطة لصحة هذا المسموع، بالإضافة إلى تتبعه نقود الوصفيين ودحض آرائهم عن طريق النصوص التراثية للغويين والنحاة القدامى أنفسهم.

- ❖ تعد النظرية الخليلية الحديثة من أهم النظريات اللســـانية الحديثة، فهي قراءة علمية للتراث اللغوي العربي الأصـــيل الذي تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت174هـ) وسيبويه(ت180هـ) ومن ساير فكرهما.
- ❖ ترتكز هذه النظرية على مجموعة من المفاهيم وهي: الاســـتقامة وما إليها، مفهوم الانفراد واللفظة، مفهوم الموضـــع والعلامة العدمية، مفهوم العامل، مفهوم الباب والمثال، وغيرها من المفاهيم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر والمراجع العربية:

- أبي زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
- ابن جني، الخصائص، تح: محمد، علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
- ابن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، مصر، دت.
- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية مسائلها وسنن العرب في كلامها، تق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، ط1، 1963م.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب، بيروت، ط2، 2008م.
- ابن منظور، لسان العرب، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط1، 2011م.
- ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد جعفر الكرباسي، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2003م.
- أبو نصر الفارابي، الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1986م.
- الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمح علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دت.
- بشير ابرير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح السانية، المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2021م.
- بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، د.ت.
- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، 1954م.
- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محموم محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م.

- جمال الدين القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986م.
- الخفاجي بن سـنان، سـر الفصـاحة، تح: الصـعيدي، عبد المتعال الصـعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر،1952.
- الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد الهنراوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- الرضـي الاسـتراباذي، شـرح شـافية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، دت.
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة كويت، الكويت، ط1، 1984م.
- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1973م.
- الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة دار المعرفة، القاهرة، 1964م
- ســـيبويه، الكتاب، تح: محمد عبد الســـلام هارون، مكتبة الخانجي، مصـــر، ط3، م1988م.
- السـيوطي: المزهر في علوم اللغة وانواعها، شـرحه وضـبطه وصـححه وعنون موضـوعاته وعلق حواشـيه: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضـل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986م.
- السـيوطي، الاقتراح في أصـول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006م.

قائمة المصادر والمراجع:

- عائشة جمعي، الحذف النحوي في ضوء النظرية الخليلية الحديثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2016م.
- عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر،2012م.
- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر،2012م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، جامعة الجزائر، العدد 01، 1991م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2012م.
- عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة بالإسكندرية، 1993م.
- العسكري أبو هلال، الصناعتين، تح: علي محَّمد بجاوي ومحَّمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1952م.
- الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1903م.
- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب، القاهرة، 1997م، ط3
- المبرد، المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1386هـ.
- محمد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط3، دت.
- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، الناشر الاطلسي، الرباط، ط2، 1983م
- محمد سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1957م

- هيام كريدية، الألسنية رواد وأعلام، بيروت، ط1، 2010م.

ثانيا: المجلات والدوريات:

- زمولي سعاد/ موشعال فاطيمة، مرجعية البحث اللساني عتد عبد الرحمن الحاج صالح بين إشكالية التراث والإبداع، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، العدد07، 2021م.
- صادق عبد الله أبي السليمان، السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين، مجلة العربية، القاهرة، العدد 97، 2003م.
- عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 02، 2007م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافها النظري والبنوي، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 85، 1999م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، العدد 04، 2007م.
- عبد الرحمن الحاج، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والآدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، 1996م.
- فايزة سيدي موسى، مسالك الاستدلال على العامل في ضوء النظرية الخليلية الحديثة، جامعة البليدة 02، العدد 04، 2016م.
- يوسف منصر، قراءة التراث في الفكر اللغوي لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 25، 2017م.

فهرس الموضوعات.

فهرس الموضوعات:

شكر وتقدير .....

إهداء .....

مقدمة: ..... أ-د

مدخل: الأصالة عند عبد الرحمن الحاج صالح .....

1 الأصول الإبستمولوجية والمنهجية للبحث في التراث اللغوي العربي 2

2 الأصول البحثية الخاصة بضرورة تحري النصوص التراثية الأصيلة 4

3 مظاهر التأصيل في دراسات الحاج الصالح، لاسيما المتعلقة منها بمسائل أصول النحو العربي 6

4 مفهوم الأصالة عند عبد الرحمن الحاج صالح 6

الفصل الأول: الفصاحة والسماع اللغوي من منطلق عبد الرحمن الحاج صالح .....

الفصاحة عند عبد الرحمن الحاج صالح. 13

1 المجال المفهومي للفصاحة 13

الفصاحة في اللغة 13

الفصاحة عند علماء النحو واللغة 16

الفصاحة عند علماء البلاغة 18

2 المجال الزماني المكاني للفصاحة 21

الحقبة الأولى: 25

الحقبة الثانية: 25

الحقبة الثالثة: 26

فهرس الموضوعات:

الحقبة الرابعة:..... 26
3 المقاييس اللسانية للفصاحة..... 28
السماع عند عبد الرحمن الحاج صالح. 32
1 مفهوم السماع 32
أهمية السماع: 33
2 محتوى المسموع وخصائصه: 36
أ) النصوص المحفوظة: 36
ب) النصوص الحرة العفوية: 38
3 المقاييس الضابطة لصحة المسموع: 40
مقياس الفصاحة: 40
المقياس الجغرافي:..... 42
مقياس معرفة النحوي للعربي الفصيح: 43
مقياس أخذ اللغة سماعًا ومشافهة:..... 45
مقياس توثيق النصوص وتحقيقها: 48
4 رده لنقود الوصفيين:..... 51
المدونة: 51
المعيارية:..... 52
الفصل الثاني: التأصيل العلمي للنظرية الخليلية الحديثة (تعريف النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية) .....
1 التعريف بالنظرية الخليلية الحديثة:..... 55

فهرس الموضوعات:

2 المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة:..... 57
1.2 مفهوم الاستقامة:..... 57
2.2 مفهوم الانفراد وحد اللفظة:..... 59
3.2 الموضع والعلامة العدمية: 63
4.2 العامل: 67
5.2 مفهوم الباب: 73
6.2 المثال:..... 75
3 مستويات التحليل في النظرية الخليلية الحديثة: 76
الخاتمة 180
قائمة المصادر والمراجع: 185
فهرس الموضوعات: 89
ملخص:.....

ملخص البحث

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى إبراز الإسهامات التي قام بها الدكتور " **عبد الرحمن الحاج صالح** " في خدمة التراث العربي عموما، والنحو العربي وأصوله خصوصا. بدءا من المسائل التراثية التي أعاد قراءتها بدقة وإحكام مثل مسألتي الفصاحة والسماع اللغوي عند العرب، وصولاً إلى نظريته الخليلية الحديثة.

وقد نتج عن هذا البحث خطة مكونة من مقدمة كاشفة عن مضمون البحث وبعدها مدخل بعنوان " الأصالة عند عبد الرحمن الحاج صالح"، ثم فصلين، فالأول تحت عنوان "الفصاحة والسماع اللغوي من منطلق عبد الرحمن الحاج صالح"، والثاني عنوانه " التأصيل العلمي للنظرية الخليلية الحديثة (تعريف بالنظرية الخليلية الحديثة وذكر مفاهيمها الأساسية). وانتهى بخاتمة ملخصة وشاملة لمضامين البحث.